

الأخيرة 9 النورس

هنا القاضي - غريب مستقلاني

الكتاب : الأميرة والنورس (نصوص مشتركة)

المؤلف : هناء القاضي و غريب عسقلاني

الطبعة الأولى : القاهرة ٢٠٠٩

رقم الإيداع : ٢٠٠٩/١٩٥٥٨

الترقيم الدولي : 9 - 99 - 6284 - 977 - 978 I.S.B.N

الناشر

شمس للنشر والتوزيع

٨٠٥٣ ش ٤٤ الهضبة الوسطى - المقطم - القاهرة

ت/فاكس: ٢٧٢٧٠٠٠٤ (٠٠٢) - ٠١٨٨٨٩٠٠٦٥/٦٤ (٠٠٢)

www.shams-group.net

لوحه الغلاف : شفيق رضوان

تصميم الغلاف : محمود ناجيه

حقوق الطبع والنشر محفوظة

لا يسمح بطبع أو نسخ أو تصوير أو تسجيل

أي جزء من هذا الكتاب بأي وسيلة كانت

إلا بعد الحصول على موافقة كتابية من الناشر

نصوص مشتركة

الأخيرة و النورس

هنا القاصي - غريب عسقلاني



استدراك

أخذ عني الشعر وسرد من ضفائري رواية..

"هناء"

جمعت لهاث بوحها لاستعيد أغنياتي الضائعة..

"غريب"

.. ودخلنا فاصلت الرؤيا فكتبنا النصوص أو كتبنا

النصوص.. لا ندري كيف!!

"هناء وغريب"

رسائل في زمن الغربة

§ عتبة الدخول

تنأى المسافاتُ بنا، تضلّلنا الطرقاتُ، يحتلّنا زمنٌ جديد
ليس كالذي عشناه.

هل يصبحُ الذي عشناه ذاكرةً بعيدة؟
أم تصبحُ الذاكرةُ مساحاتٍ لحياةٍ جديدة؟
كيف واللحظةُ أصبحتُ خميلةً نفقتُ أزهارها.. نبتت
على جوانبها ينابيعُ العطش؟
كيف؟..

والليل فاصلةٌ عند موعد الآتي مع جفاف حليب
الممكن، وقد تخثّر في الصدر لبنُ الشوق؟
يا امرأةً بعيدة، بُعد الرمش عن بياض العين..
هل تسربلنا حموضة الأشياء؟
آه.. ما أبعدَ مسافات الفراق
آه من جغرافيا تشكّلها آهاتُ الانتظار..
آه من وقت غدر القدر.

§ هي .. وتباريح الوجد

وَأنتَ بعيد

أسافرُ خلفك/ في كل القطارات ..

أنتظرُك ..

في كل المحطات/ أجوبُ الأزقة

وفي زاويةٍ .. مع فناجيني/ أفكُ طلاسَمَ الحروفِ

والرسَمات

أنتظرُ ..

أخبارًا عن مواسمِك/ تأتيَنِي بها القِبرات

إليكِ ...

أشدُّ رحالي/ أعبئُ حقائبي .. تراثي وبخوري ..

وروعة أسحاري

ذاتَ صباح ستصحو

وأنا أمسحُ قطراتِ الندى عن جبينك

بأناملي أمشط خصلاتِ شعرك

وفي مرفأ عينيكَ

سأختمُ كلَّ أسفاري

وستدركُ

أنَّ كلَّ النساءِ .. أنا

وأنك ..

لي كتبتَ

أجملَ القصائدِ والأشعارِ .

§ هو .. وليل الجوى

أنا لا أطمعُ بغير واحدة من بين النساء الساكنات
فيك، تأخذني من جوعي إلى طعم الشبع، تطردُ عني
ظمني، تطفئُ فيَّ جفاف الريق، تبذرني شهوات
الارتواء ...

هي لي ..

والنساء الساكنات فيكِ، كلهن غنياتٌ وجمالياتٌ لرجال
غيري واهمين، تضربهم تقاسيمُ النساء، تشعل فيهم
نزوات الفحول الزائفة، فيخرجون من سباق الرحلة
خاسرين. يقبضون على الريح، لا يدركون أنَّ النساء
الساكنات فيكِ، أقربُ من حبل الوريد للمحبين فقط،
أبعد من مجرات السماء على من ينصبون شباك
المصيدة.

أما أنا: أنتِ لي صوتٌ وروح، رنة ضوء الفجر،
وعبادة ليل، ونجوم راغبات. وامرأتي التي أنتِ
فراشة ترشف القطر من كأس زنبقة، تعشقُ الفجر.
هي كالحقيقة تنشرُ الضوء ولا تحترق. والحقيقة
أنتِ/ رجة على سن القلم، ترسمُ كلمات في سطور،
تأخذ مجراها على البياض، تصبحُ امرأة تبحثُ عن
حياة فوق ما يحدث في الحياة، تصبحُ أشواقا مجللة
بالبهاء.. ترقصُ في فضاء الروح أميرة لا تدخلُ
قصور الأمراء.. تأخذها الدهشة من بشر يتجملون
بالأكاذيب وأردية الزيف، لا يدركون رغبات الروح..
كل ما يفعلون أنهم يتقيأون الحياة.. إنهم في رحلة

وهم لا يدركون، يبدأون من الموت، وإلى الموت
أحياء ينتهون.

وهي/ أنت والحقيقة توأم.

هي لي من بين النساء..

"امرأة من نبض صوت

ومن رجفة ضوء.."

لا تساوم قلبها.. عقلها حاضر، لا تخطئ الأعياب
الرجال، وأنا لا أجيدُ من اللعب غير الحلم، أستحضره
زمانًا ومكانًا وامرأة فراشة تأتيني في موعد شوق،
تنشرُ في دروبي باقة من نبض وجد وتطير.. في
الحلم أركبُ أجنحتي، أسبقُ لهفتي إلى شرفة
المواعيد ربما أسبقها، ربما تسبقني، عندما أصحو
تغادرني كلُ النساء اللواتي عرفت..
واحدة لا تغادرُ الحلم.. وتبقى..

§ هواجس حادي القافلة

لَمْ تَأْخِرِ الْفَرَسَانُ عَنْ رَكْبِ الْقَافِلَةِ؟ .. مَنْ يَحَازِي
هُوَ دَجَّ عَرَائِسِ الْحُلُمِ فِي الْبِلَادِ الْبَعِيدَةِ؟ .. أَمْ تَرَاهُمْ
شَرَبُوا مَاءَ الْوَهْمِ؟ .. ظَنُّوا أَنَّهُمْ يَزُودُونَ عَنْ بَقَايَا
الْحِكَايَاتِ مَا بَعْدَ الْخَرَابِ.

أَهْ مِنْ وَجَعِ الْقَلْبِ عِنْدَمَا تَسْكُنُ فِي الْقَلْبِ غَرِيبَانُ
الْخَرَابِ ..

أَهْ مِنْ لَهْفِي عَلَى مَا جَدَّاتِ يَتَلَطَّيْنِ فِرَاقًا.

لَمْ تَأْخِرِ الْفَرَسَانُ عَنْ صَهْوَةِ الْوَقْتِ؟
قَدَرِي أَنْ أَنْفَخَ عَلَى مَدَارِ الْوَقْتِ فِي نَائِي الْوَجَعِ.

§ هي .. وتباريح الوجد

وحيدة ..

أَقْفُ عِنْدَ شَوَاطِيْ أَفْكَارِيْ

يُلْقِي إِلَيَّ الْمَدَّ حَقَائِبَ مَلِيئَةً بِالنَّوَارِسِ

وَالْأَخْبَارِ

يا بعيدى ..
بم تفكر؟
أترأك تغارُ...؟
لو علمتَ أنّ غيرك اللحظة في جوارى!
أنا..
نعم.. أنا
أغارُ عليك من كلّ النساءِ
أغارُ عليك من لغة الحوار
في خيالاتي..
نسجتُ خيوط مساء يجمعنا..
أنا.. وعينيك.. وسفن إبحاري..
يا لهذا الجليد الذي
يغمرُ قلبك..
وأنا أمامك
أحترقُ.. بناري
فقل لي
كم من الأشواق ترضيك؟
وكم من العمر أعطيك؟
وكم من الكلمات سأظلُّ أكتبُ فيك؟!

§ هو.. وليل الجوى

اخرجني من جلدك قبل أن يسكنه الطفحُ، ويغلقَ عليه
أبواب الخروج.. اسكني روح فراشة، اطردي كلَّ
كوابيس المكان الذي أنتِ فيه، غادري غربتكِ إلى
بيتِ أمين، واطلبي الرحمة لمن يأخذهم وهمُ نعيم
الإقامة في المكان، يمتلئون بوجبات من لحم البشر،
يسكرون على أنخاب الانتصارات الصغيرة، لا يدركون
جحيم نهايات المشاوير عندما تحملهم قطاراتُ الرحلة
إلى خواء وصقيع.

إني أراكِ بعين قلبي، وقلبي لا يخطئ نبضكِ.
إني أراكِ تلوكين الوسائد، دون صوت تصرخين..
أرهف السمع إليكِ تمضغين الوجع.. تأكلين الوقت..
والوقتُ دميمٌ وبطيء.. إني أسمعُ روحك تصرخُ من
بعيد:

- كلَّ ما حولي هواء يحترق.
- هي رائحة الشواء ما قبل الاحتراق. لا تياسي، لا
بدَّ أنْ تنبضَ روحكِ فيهم كالضياء. سرك يطفئ فيهم

ما تسرّب من سواد الشهوات. وإذا ما داهمك اجتياحُ
الآلم غادري زمن السواد إلى البياض.
لحظة، صمت الهواء عن اللهات. رجفة أخذتني إلى
روح اليقين.. إنك تتسللين إلى طقس جديد. ويقيني
أني أراك فراشة، تسكرُ من ماء الندى. والندى ماءً
زلال مثل بلور يشعُ.

صوتك حط على أنفي تدل.. وشوشني:
- سكنوا الشرانق يتطهرون من دنس الشواء.

• • •

في الصباح، أول ما رأيت فراشة سكري تهبط على
كأس زنبقة بيضاء مغمسة بالندى.. تمتصُ الرحيق
وشذا الرحيق يعبقُ في المكان، يستدعي فراشات
نقرن للتو جلد الشرانق، يرقصن ويصدحن غناءً:
- أمانا تسكنُ كأس الزنبقة.

رحتُ أحدثُ نفسي: "إنها امرأة أعرفها سكنتُ روح
فراشة."

وانشغلتُ أبحثُ في معنى المعاني، فيما انشغلتُ هي
بارضاع الصغار من رحيق الزنبقة.

§ هواجس حادي القافلة

العشقُ قدر..

لا يأتي بقرار، فهو إن غاب حضر..

والبياض يا ولدي من طبع الحرائر.

والله صاحب القدرة وحده يملك ما تخبئه السرائر.

§ هي.. وتباريح الوجد

كم أحبُّ.. أن أكتبَ لك يا بعيد

فالكِتابَةُ لك صارت من طقوس عشقي

فتعالَ لأنثرَ حولك بخوري..

وعلى صحائف صماء

أقدمُ لك قراييني وندوري

وأسْفح فدى عينيك.. ياسمينا

وفلاً.. وجورياً

.....

ستدوْخُ بتعاويذ شعري

ويُصبحُ كلكَ .. ملكي
وأنتَ تقرأُ رسالتي
سأشعرُ بدفعِ أنفاسك
وأسمعُ صراخَ لهائك
ستفتحُ الريحُ شباكي .. ويبللُ المطرُ أوراقِي
حينَ تتساقطُ دمعاتي
ستضمُّ رسالتي إلى صدرك
حينها .. وأنا في البعد
سيدقُّ قلبي .. مع تسارعِ دقائقك
وسأعلمُ يا بعيدِي أنني .. مازلتُ حُبُّكَ
وأنِي ما برحتُ يوماً ... ذاتكُ
وأنَ وصولَ بريدي هو ... جلّ أمنيّاتك
وأنكَ يومَ قررتَ الرحيلَ عني
كنتَ ..
تمارسُ .. أعظمَ هفواتك.

§ هو.. وليل الجوى

كلما جئتُ إليكِ ابتعدتِ. هل هو الخوف من تلاقي
النبض في قلبين اعتادا اللهاث؟ أم هو الشوقُ الذي
يحذر من اقتراب المسافات؟

إنني طرْتُ على رفة قلبي، وتجشمت السفر، أقتلُ
المسافات اللعينة، أتحرُّ من ظلمي لنفسي، أقسمُ أنني
لن أضيعَ ما تبقى من العمر في الحسابات الصغيرة.
والحسابات الصغيرة قد أخذتِ عمرينا هباءً..

طرْتُ والشوقُ رفيقي، في جراحي فصول الحكايات،
أتزوّدُ بالذي كان، والذي صار في الصدر آهات تحملُ
أحلى الذكريات.

والمسافة بيننا هي بعضُ ما عشناه خارج عمرنا
الهارب منا..

تاهت الطرقاتُ، باتتْ أطول من مدى الأشواق، أقصر
من وشوشة النبض إلى لهاث القلب في لحظة وجد..
جنتك ملهوقا.. هل أدخلُ مدار الالتباس؟!

لا تهربي مني، فأنا لا أراكِ كما يراكِ غيلان التواريخ
في الأجندات الصغيرة.

لم تكوني يا سيدتي يوماً خاطئة مثل المجدلية، لم تقفي عند نواصي الطرقات تعرضين بضاعة الشهوات، تحترفين الغواية وقتل الطهارة في النفوس، لكنهم أرادوك مريام. ومارسوا فيك كل ألوان السفاح، وتناوبوا عليك، أطفأوا فيك قناديل البياض، وأدوا برعمة الحقيقة.

أنت لست المجدلية، ولا العصر ميعاد الأنبياء، أنت ضحية، والحقيقة ليس لها وجهان إلا عند من ركبوأ حصنة الرهان قبل أن يتعرفوا على طباع الحصنة الأصيلة..

هل عرفت ما الذي أحمله إليك؟ إنه الشوق مع فصل في الحكاية. والحكاية بيننا لا يعرفها من تخدعهم الصور على سطح المرايا.. فالذي يحمل في صدره وردة شربت من ندى الفجر، يرى قلبه على مرآة امرأة بعيدة.

هل عرفت سر فتيلة القنديل كيف تضيئ العتمة في ليل الجفاف؟..

فأنا الآن أعبرُ الطرقات إليك، أقتل المسافات... لا تتعدي.

§ هواجس حادي القافلة

الريحُ صفراءُ تلونُ الأفقُ بالشحوب
وصقيعُ الكون يزحفُ ينذرُ بالغروب
لا خيار غير الهروب إلى الهروب

§ هي .. وتباريح الوجد

أخافُ من وحدتي
أخافُ من غربتي
أخافُ أن تقولَ لي يوماً
أنك لم تستهوَ .. رسائلي
وأنك لم تقرأ .. بريدي
أخافُ أن تنساني المرايا
وتملّ أحاديثي الزوايا
وأذوي في البعد
وتنساني الحكايا

أخافُ أن تقولَ لي يوماً
أنك نسيتني.. وأحببتَ سوايا
الصيفُ يمرُّ مسرعاً.. أمامَ شبّاكي
لا أضاء لي قنديلاً
ولا نثر وروداً في دربي
ولا زرعَ نجومًا.. في أحداقي
يرaudُ الخريفُ ستائري
يلهو بشعري
ويعبثُ بكتبي.. وأوراقي
أخافُ أن تهرمَ الكلماتُ في صدري
وتتبلدُ الدموعُ في جفني
أخافُ أن أصبحو.. يوماً ولا أجدُ من أكتبَ له
حُبِّي.. و..

§ هو.. وليل الجوى

وخاصرتُ كلَّ النساءِ الساكناتِ فيكِ ما عداكِ، لم
تخرجي منكِ تسبقكِ اللفهةُ إليّ. ما دهاكِ وما دهاني

والوقتُ بيننا لعبةٌ غادرة.. هل كنتُ أنا الأسير أم أنتِ
الأسيرة؟ أم هو الوقتُ خادعنا فولجنا السجن
وتوهمنا أن بوابته تفضي إلى درب اللقاء.

إنه زمنُ الخديعة يأخذنا قبل اللقاء إلى الفراق..
كيف حدث الذي صار، وأنا جئتُكِ لا زوادة لي غير
نبضي، وزغاريد ترقصُ في دمي.. ودمي سيلٌ تدفقُ،
وعند المصب تاه.. ضاع في أرض سراب. وأنتِ
تراقبينني من بعيد، والنساء خرجن منك يحطن بي،
ما عدا واحدة لم تأت!!

هي أنتِ..

إنني جئتُكِ فاحتفت بي كلُّ النساء ما عداكِ..

وأنا يأخذني الجنون..

ما الذي أغضبكِ وما دهاكِ.

وأنا ما زلتُ أفتشُ في جراحي في المشاوير التي
قطعناها سوياً فأرى الوهم كما المرض في جسدي
يقيم.

هل أتيكِ وأنا في حال المرض؟ واصطحبت أمراضِي
تزمكني وتنتثر بيننا شيئاً كالغيش.. فهربت مني.

هل رأيت وجهي وقد شوهه الغيشُ، ورصدت
خطواتي وأنا أبحثُ عنك بين النساء اللواتي خرجن
منك.

لا نساء من حولي..
إن لم تكوني أنتِ تصبح الدنيا خواء
والسؤال ما زال يقتلني
أين كنتِ عندما جئتُ إليك؟

§ بوابة الخروج

العذاب أن يخرجَ العاشقُ من روحه، يمارس الموت
اختياراً، والحياة خارج النص نفق رصت فيه
التواييتُ بانتظار الجنامين، الطازجة النائمة على
ذهول الفاجعة.

والفاجعة ضحكة هازئة وعبوس خاطف عند لحظة
الانفصال، وأنا الواقفُ عند عتبة الخروج من النص،
أودعُ روعي لبعض الوقت، يعبرني اليقينُ أنني عائدٌ
إليكِ، فالحياة على الأرض زائلة قصيرة، والحياة في
النص لا تعرفُ غير قانون الخلود،

فهل أدركت ..

أنتِ امرأة / قدر ..

2

الأميرة.. وهواجس النورس

§ بوابة السؤال

ها هو الوقتُ يعودُ بنا من حيثِ انتهينا.. هل أعبر
النص يا سيدتي من نافذة السؤال؟!
هل أدخل إلى مقصورة الأميرة متسللاً، والأمر
يدفعني أمام بوابة العذاب؟
كيف يقطع الزاجل.. كيف تقطع الزاجلة المسافات؟..
كيف يجتازان غبار الوقت دونما نزف وموت؟
والمسافات مثلُ دروب الأفاعي على رمال الصحراء،
في ساعات الهجير.. والعقارب أفرغت سمها في
خاصرة الوقت المحايد.. نشرت في الدروب عيوناً
ترصد النبض في شهيق العاشقين.

§ زاجلة

حطت الزاجلة على شباكه.. أغلقت جناحيها على
ضفتي صدرها.. رفرفت.. هدلت بالفرح..

رفعت جناحها عن قرنفة بيضاء كتب عليها بحبر
من ضوء الفجر رسالة..
"أهلاً بك في عالمي.."
طارت الزاجلة..
وما زالت أصداء الرسالة صوتاً يتردد.

§ هواجس النورس

كيف يختزل الصوت كيان صاحبه ويتشكل بصفات
الآدميين؟!
هل تعودت القبض على جسد الصوت، وتعرفت على
سحره؟
لا يدرك ذلك إلا من تسكن في صدره مساحات فضاء
لا ينتهي بحدود المدركات.
أنتِ قلتِ:
"أهلاً بك في عالمي.."
أنتِ أمسكتِ بحبل الحكاية!!

إنها أنتِ، عندما يحملكِ التجلي، عندما يضربكِ الحزنُ
وخسران الرهان، عندما تمتطين حصان الفرح رغماً
عنكِ.. تتأرجحُ الدمعة في مقلتيكِ.

إنه أيضاً عذابي عندما أدرك سر الوقت الذي تعيشين،
وأرى دمعة روحكِ تسري في لحمكِ تذرفُ أشواق
الحياة..

صوتكِ سرِّكِ الذي لا يعرفه سواي.. عندما تلهثين..
تحضرين أمامي..

هو أنتِ، أم أنتِ هو.

لا أعبر منطقة السؤال، أهربُ إلى العيش معكِ، أتذوقُ
رحيق العشرة مع امرأة.. لا بأس، لي منها بعضُ
شيء، وهي المستحيلة، صوتكِ يكفيني حتى الامتلاء،
أما الآخرون ما لهم فيكِ سوى وهم السراب.

هل أدركتِ يا أنتِ سرَّ الصوت الذي يحملُ صاحبه؟

إنه مرشد الروح الذي لا يعرفُ سرها غير الله..

صوتكِ يا امرأة جواز سفر.. وأنا الآن أجلسُ على
رصيف محطة منتصف اللحظة..

هل نظيرُ روحين إلى بيت هناك..

رقصت دمعتهـا .. قالت :

- ربما قصفوه مع ما قصفوا .. ربما قتلوه مع من
قتلوا .. ربما .. لكن ذاكرتي مازالت في ذاك المكان ..
هل غادرت ذاكرتك المكان ؟

§ زاجل

ذات فجر .. عند التباس الغفوة بالحلم، هبط الزاجل
على شُباكها، قَبَّلها على جبينها، زرع الحكاية في
صدرها وطار ..
قبل هبوب النوة، عاد الزاجل، قَبَّلها على جبينها،
فتشَّ في صدرها وطار ..
هل يعرفُ الزاجل أنها ما زالت تحفظ الحكاية عن
ظهر قلب ..
فتشت جناح الزاجل عن طيف رسالة، كُتبت على
ريشة الإبط ..

§ نبض الأميرة

على ريشة تحت إبط الزاجل، حَمَلَتْهَا رجفة وجد :

ما كان ضَرَكَ..؟

لو قُلْتَ لي

أَنكَ.. ترومني!!

وَأني.. سيدةُ العمر

وهنَ من دوني...

أشباحُ لي

ما كان ضَرَكَ..؟

لو بقيتَ لي!!

حتى يغمرَ الثلجُ...

فصولي

وتكونُ عيناكُ...

آخرَ سماءٍ أرنو إليها

وصوتكُ..

آخرَ زاجل..

هدلَ لي!!

§ زاجلة

وأنت عند اندغام اليقظة بالنوم..
أطلت عليّ من نافذة صدري تبحثُ عن طفل الحكاية،
تسألُ:

- ماذا تفعل يا..؟
- أبحثُ عن حكايتي في جب العدم.
- متعب أنت يا نورس عسقلان.. هل هو غبش
- غبار الوقت؟ أم خذلتك العافية..؟

§ هواجس النورس

إني أراك بعين قلبي، وقلبي لا يخطئ نبضك.
إني أراك تلوكين الوسائد، دون صوتٍ تصرخين.
أرهف السمع إليك تمضغين الوجع.. تأكلين الوقت..
والوقتُ بطيء ودميم.. إنهم يمضون... ذاهبين إلى
التيه.
- كلُّ ما حولي هواء يحترق.

- هي رائحة الشواء ما قبل الاحتراق. لا تيأسي، لا بدّ
أنّ تنبض روحك فيهم كالضياء. سرك يطفئ فيهم ما
تسرّب من سواد الشهوات. وإذا ما داهمك اجتياح
الغدر، غادري زمن السواد إلى البياض.

لحظة، صمت الهواء، رجفة أخذتني إلى روح اليقين،
إنها تتسلّل تعبرُ إلى طقس جديد. ويقيني أنني أراها
تسكرُ من ماء الندى. والندى ماءٌ زلال مثل بلور
يشعّ. صوتها يأتيني رنة فجر:

- إنني الآن أسكنُ البيت هناك، هل تراني؟
حطتُ على أنفي فراشة تتدلل.. هبت الريح، ليس فيها
رائحة حريق أو شواء.. وشوشتني:

- سكنوا الشرانق يتطهرون من دنس الشواء.
آه يا سيدة الحلم من جور الذين عاثوا بنا في المنافي
اغتراباً عن هناك.. وهناك عسقلان على بعد رجفة
من صدري.. وبغداد هناك على بعد رمية قوس من
كنانة قلبك المغدور.. قلتُ:

- من أي الأجنات حضرت يا أنت؟

- جئتُ امرأتين في حال امرأة!!

أه يا قلبي من وهم الالتباس!!

هي في الحكاية، هي امرأة تتوسد ذراع البحر، تنشدُ
أغنيات قلبها المزروع في رحم زنبقة تسكنُ هامة
تلال الرمل على شاطئ غزة، تنتظر نورسًا الذي
يسكن منارة عسقلان..

وهي في ذات الحكاية امرأة فيّ، تنتظر طيقًا بعيدًا
يخاصرها رقصة الجوبي في بغداد.. يرفعُ إبطها على
مهماز كوع ذراعها، على مرأى أبي نواس الساهم،
الذي ما زالت ريشه ملتاعة تضبط نغم الوتر وإيقاع
الرق والطبل هناك.

§ زاجل

لأنّ حضوره رائع.. أذوق صوته الرخيم بطعم قهوة
الصباح.. فحين يضحك وجهه لي، تهدأ الأعاصير
والبحار، وتعجُ برودة لذيذة في الرياح، ويصبحُ الكون
فردوسًا.. يكون فيه الفارس، وأكون أنا الأميرة،
وأغني..

" يا لهفي عليك وعليه ..

فأنت والوطن، تثيران في النفس الشجن..

فلمن أغني، وأنا ما زلتُ أملكما في غربتي..
تلتصقان بي كالوشم في البدن.."

§ نبض الأميرة

عينكَ تسألني عن موعدٍ
وعيناى تقولُ : متى هذا الموعد؟
فأنا أهواكَ من أزلٍ بعيدٍ
أهواكَ مَدْ خلقَ الله البرقَ والرعد
وأخافُ إنْ كانَ هناكَ .. قبلي
أو .. سيكون
من بعدي .. بعد
فوجهكَ الجميل .. رحلة
في ديوان شعر
مقاطع .. من فلٍّ وورد
وثغركَ الرقيقُ لو تبسمَ لي
لأنساني...
أمسي ويومي .. والغد .

§ زاجلة

وقفت الزاجلة على النافذة.. صامته عارية من ريشها.. لم تخجل من عريها، رفعت جناحيها، ريشة واحدة تحت الجناح الأيمن، كتبت عليها رسالة.. بكت الطائرة.. معتذرة بكت:

- عدت قبل أن ينزعوا هذه الريشة.. فأموت قبلته وطار.. قالت:

- لي عودة يا صاحبي عندما ينبت ريشي من جديد.

هل تحمله الزاجلة إليها رسالة.. هل تسيرُ به عكس مسار الريح في زمن الخديعة، وهل تصدقُ الأميرة أنَّ الزاجلة قطعت الرحلة وعادت بعد أنْ نتفوا ريشها كي لا تواصل.. إنه فصلُ الحقد / الجنون.. ترى في أيّ الفصول زاجلته تعود؟!!

§ هواجس النورس

طرتُ والشوق رفيقي، أتزوّد بالذي كان، والذي صار
في الصدر آهاتٍ تحمل أحلى الذكريات.. والذكريات
ما زالتُ في مطارحها تنتظر..

كيف ألقاكُ وما بيننا بعضُ خطواتٍ إلى نهايات
المسافة، وأنتِ امرأةٌ لا تخضعُ للقياس.. والمسافة
بيننا هي بعض ما عشناه خارج عمرنا الهارب منا..
تاهت الطرقات، باتت أطول من مدى الأشواق، أقصر
من وشوشة النبض إلى لهات القلب في لحظة وجد.
هل أدخل مدار الالتباس؟!.. والكلماتُ ترقدُ على
أوتاري، تأخذني إلى الغناء.. والغناء الذي أطلقه،
هو أنتِ المخبوءة في صدري.

هل عرفت أية امرأة أنت؟!!

أنتِ، امرأة واجلة، مشوهة بالعذابات الحقيرة، التي
أخذت من لحملك روح النضارة، سحبت من صدرك
لون البكارة، أكلت باطن قدميك، تركتك لأشواك
الطريق، نفرت على جلدك، فتحت طريقًا للألم، طفحت
بثورًا، زلعت منابت شعيرات الرجفة عند الحضور.

لا تهربي مني، فأنا لا أراك كما يراك غيلان التواريخ
في الأجندات الصغيرة، أنت في صدري، رغم جعجعة
السيوف من حولك، لم ينتصروا يوماً عليك...
إنهم لم يخرجوا عن عتبات خسيان العبيد، لن
يكونوا يوماً أمراء..

أنت رغم خذلان الوقت الأميرة.

أنت البهية في عين العذاب، في الحصار، عند المفاز
والمعابر ونواصي الطرقات.. عند بوابة الحلم لا
تأبهي بالذين يشحذون سيوفهم يتكاثرون عليك ذبحاً
وسلخاً وتقطيعاً، يصنعون منك عشاءً، يتجشأونك لذة
نصر.. لا يدركون أنهم غاصوا في المعصية.. لا
يعلمون أنك قد تشظيت كي تولدي من جديد، وقد
اغتسلت بماء الأزل، وتعمدت في النهر كما فعل
المسيح الذي رددت كل البرايا صوت عذاب استغاثته
التي سكنت كل المرايا في الصدور.

أنت لست المجدلوية ولا العصر ميعاد الأنبياء.. أنت
ضحية، والحقيقة ليس لها وجهان؛ إلا عند من ركبو
أحصنة الرهان قبل أن يتعرفوا على طباع الأحصنة
الأصيلة..

إني أتيتك. أحملُ أجملَ ما لديّ ، وما عندي لا يعرفه
الرجالُ الحائمون من حولك، يلتهمونك قبل أن ترسو
عيونهم عليك.. الوهم ما يرتكبون وما يقتطفون،
يعتقدون أنهم فازوا بكِ غنيمة صيد أجهدتها
المطاردة، فوقعت في الشباك أسيرة، لا يدركون أن
شبابيك عينيكَ لا يمرّ منها غير الضوء يفتشرش
البياض.

هل عرفتِ ما الذي أحمله إليك؟

إنه الشوقُ مع فصل في الحكاية.

والحكاية بيننا لا يعرفها من تخدعهم الصورُ على
سطح المرايا.. فالذي يحملُ في صدره وردة شربتْ
من ندى الفجر، يعرفُ سر فتيلة القنديل كيف تضيء
العمّة في ليل الجفاف؟

فأنا الآن أعبرُ الطرقاتِ إليك، أقتل المسافات..

لا تبتدي.

§ زاجل

لا ريحَ تحملني إلى فرح الربيع.. لا ريحَ تأخذني إلى
دفع الجنوب.. كلُّ المطارح فقدتْ مواسمها، لا صيفَ
يُنضج سنابلها، ولا خريف يذرفُ دمعة.. حتى الشتاء
يمر في وقت الجفاف.. ولا ربيع يحملني وردة تتفتحُ
على شفتيك..
هل أعودُ يا سيدتي إليكِ بغير وجهي..

§ نبض الأميرة

قلتَ لي..
سأعودُ.. في الشتاء
فامسحي دموعكِ حبيبتي
وكفّي عن البكاء
أشعلي في الموقد نارا
وأعدّي طاولة للعشاء
ضعي زهوراً... في الإثناء

وأضيئي شمعتين ... في المساء

قلتَ لي ..

سأعودُ .. في الشتاء

فأنا .. أتعني البعدُ

أرهقتني الجفاء

فتزيني .. حبيبتي

والبسي مما لديك .. أحلى رداء

وجلستُ أنتظرُ ... وحيدة

أنسجُ خيوط المساء

ويمرُ شتاءٌ وبعدهُ ... شتاء

أنظرُ في الفضاء ...

فلا أرى لطيفك وجودًا

لاشيء سوى ...

وريقاتٍ خريفٍ .. صفراء

تلعبُ بها الرياح

وريقاتٍ .. تنتحبُ محتضرةً

في حديقة المنزل .. والفناء.

§ من أخبار الحمام الزاجل

قد جاء في الأثر :

... ومرّ الشتاء وجاء الربيع.. ومرّ الربيع وجاء الصيف.. وجاء الخريف وعاد الشتاء.. ولا خبر عن مجيء.. ولا رياح تحملُ على متنها الطيور.. وقيل بأنّ الدنيا دخلت فصل الرقاد.. وضج العباد من الفصل الجديد.. حتى جاء يوم تجلّى القمر في رابعة النهار، وأشرقت الشمس عند الغسق.. وفي ساعة خارج مواقيت البشر.. حضنت الشمس وليدها القمر.. ورجعت الدنيا إلى مواقيت البشر، وحملت الريح سرباً من حمام توزع إلى سربين.. هبط الأول في قصر الأميرة.. وحوم الثاني حول نافذة الفتى / النورس.

وقد جاء في الحكاية:

أنه بعد أن نتفوا ريش الزاجلة والزاجل.. هاجر الطائر ووليفته خلصة إلى غابة الحلم البعيدة، فاكتمسيا بريش

جديد، وتناوبا الرقاد على البيض.. ومرت الفصولُ
متعاقبات وتناسلتا عن سرب من الحمام الزاجل..
وأنه عندما احتضنت الشمسُ القمر، رجع الطائران
مع نسلهما إلى الأماكن الأولى من جديد، وهبط
السرب على اليابسة مرتين.. مرة هبط في قصر
الأميرة بين الرصافة الكرخ.. نزعت الزاجل ريشة
من إبطه وقدمها هدية للأميرة وقبلها ... ومرة هبط
السربُ عند شاطئ البحر في غزة.. نزعت الزاجلة
ريشة من إبطها قدمتها للنورس هدية، وقبلته بين
عينيه الشاخصتين إلى عسقلان.

§ الليلة الثانية بعد الألف

قيل إنه بعد الليلة الأولى بعد الألف.. دفن شهریار
سيفه في غمده، وألقى به في اليم، وأعلن تتويج
شهرزاد ملكة على البرين والبحرين، وأمر وزيره
الأول بإصدار أمرين، الأول أن تذبح جميع الديوك
حتى لا تتوقف شهرزاد عن الكلام المباح، والثاني

بتحريم ذبح الحمام الزاجل وتقديم هدية ملكية لكل
مَن يعتني به.

وقيل إن شهرزاد تناومت في تلك الليلة، فأيقظها
الملك شهریار، وأخذها إلى صدره، فتمنت عليه أن
يرجع عن قرار ذبح الديوك، فسألها توضيحاً.. قالت:
- حتى لا يحمل سيدي وزر قطع نسل نوع خلقه الله
سبحانه وتعالى.

وتدللت عليه وتابعت:

- وحتى تسرد أنت عليّ ما نقلته الزاجلة والزاجل
للأميرة والنورس من أخبار.

وضحكت بغنج ملكة، وقبلته، وقالت:

- ولسيدي ومولاي أن يتوقف عن الكلام المباح مع
صياح أول ديوك الفجر.

3

حكاية الليلة الثانية بعد الألف

قد جاء في الأثر :

إنه في الليلة الثانية بعد الألف، أودعت شهرزاد
حكاياتها في صندوق الزمردة الزرقاء، وألقت بها في
ماء الفرات .. وحدثت نفسها :

- الليلة نعيشُ الحكاية يا ملكي .

وتزينت بأبهى زينة، وتطيبتُ بأغلى طيب، وأمرت
بإعداد فراش من ريش النعام على سطح بركة
الزئبق، واصطفت الجواري على جانبي بساط أبيض
يصل ما بين الفراش وحافة البركة؛ ليسير عليه
الملك .. وانتظرت تحاور نجوم السماء ...

حتى إذا كان منتصف الليل، رأت وجهه مطبوعاً على
سطح القمر، فاطمأنت للرؤيا ..

جاء الملك .. قال :

- ماذا في جعبة الأميرة هذه الليلة يا ترى؟

ضحكت عن دلال الواثقة، وأشارت إلى السماء ..
وهمست عاشقة راغبة :

- انظر، أنتَ هناك .. !

نظر الملك فرأى وجهها مطبوعاً على وجه القمر..
قال:

- أنت هناك على وجه القمر!-

وقيل: إنه غفي على صدرها، وأنها غفت على
صدره.. وأنه بين الغفوة والصحو حدث الذي صار..

قال جدنا الأول:

يا أولادي: احذروا صفو الليالي، فعند صفو الليالي
يحدث القدر..

• • •

والذي حدث، سارت به الركبان، واختلفت فيه
الروايات... ومرت السنون وصارت قروناً، وبهت ما
بهت من الروايات، وبقيت رواية تواترها الخلق جيلاً
بعد جيل.. وكان الخلاف عليها حول بعض التفاصيل،
ما جعل دحض الرواية يحتاج إلى دليل، أو حُسن
تأويل..

وفي الحكاية، أنّ طائر الرخ استغل الغفوة وحملهما على ظهره، وطار بهما دهوراً وقروناً، وهبط في بيداء فأنزل الملك عن ظهره.. وطار مسافات ومسافات، هبط في بيداء وترك الأميرة هناك وطار.. وقيل : إنّ المسافة بينهما صارت مرجومة بالعطش والغربة.

§ من شدوا الأميرة

وتناقل الركبان وتجار القوافل الذين يجوبون الأرض، غناء كلما وصلوا إلى ديار يجدون العشاق يرددونه.. وقيل فيه : إنه بوحُ عاشقة غربتها الأحوال عن المكان...

(وجهك القادم من خلف السكون

المتسلل..

من خلف النسيان

يحادثني.. يمازحني.. يطاردني

في كل .. مكان

يُشعلني .. وجداً

.....

ما بين الذهب .. والدخان ..

تهاجر النوارس والقوارب

للشطان ..

بالفيروز يتلون البحر

وتزداد السماء سحرا

تصير الرمال ...

بلون الحناء

ويذوب الجليد الأبيض ..

على الأغصان

أحبك ...

.....

لا أعرف سوى

أن في عينيك لحناً قديماً

بقدم الزمان . (

قال جدنا الأول :

يا أحفادي :

إذا ضاقت الأرضُ بكم، اذهبوا إلى الحلم، واصنعوا
من الحلم حياة، فيه تتسع الرؤيا.. وإن ضاقت
العبارة، فالعبارة وردة القلب في بستان الروح..

وقد جاء في الأثر :

ويدللون على ذلك أنهما ما زالا غريبين، يلتقيان في
الحلم، تتأى بهما المسافات.. وأن الغيرة تقتلها، وأن
الحيرة تلازمه مثل جلده.. وأنهما يقتاتان على
العطش.

واختلفت الروايات في مصير الأمير...

قيل : إنّ الرخ رماه على صخرة لها رأس مسنون،
فانشق صدره وتعرى كبده لجوارح الطيور، وأنّ
بومًا استغل العتمة فنهش قلبه، وأنّ حمامة سكنت
كهف القلب ورقدت على ببيضها، حتى إذا انتصف

الشهر العربي، وتدور القمرُ بدرًا، فقس البيض عن
أفراخ زاجلة تحفظ الدروب إلى المنافي.

وفي رواية ثانية قيل: إنَّ ثلثة من قطاع الطرق
خرجوا عليه في ثياب أمراء وأعطوه الأمان، فكشف
لهم عن حاله، وحدثهم بما جرى له مع الرخ،
فحاكموه وأقاموا عليه الحد بتهمة البحث عن اليقين.

وقيل... وقيل، لكنَّ أحدًا لم يقطع بموته..

أما الرواة فقد توزعوا إلى فريقين، فريقٌ ينحازُ إلى
اليقين بعدم موت الأمير، فالحب والوفاء إلى يوم
الدين... وفريقٌ ينحازُ إلى ضرورة الشك لأنه لا
وجود لليقين، ويقررون موت الأمير ويعتبرونه
حكاية من حكايات الغابرين.

• • •

.. وينشغلُ الناسُ هذه الأيامُ بامرأةٍ لاذت بالبترء
هربًا من جور ذوي القربى، ويقال إنها أميرة أو من
نسل أمير، رجفت نحوها قلوبُ العاشقين فساروا

على خطاها، وصاروا جماعة لهم روايتهم عن
الأمير، يتجمعون في الساحات وعلى قمم الروابي
ليلة منتصف كل شهر عربي، ويرحلون بأنظارهم
إلى السماء يتأملون رحلة القمر يوم اكتماله بدرًا
مدورًا.. ويكون فرحًا، فيهطل دمعهم مطرًا لطيفًا
يطلقون عليه غيث القلب.

ويقال إنهم يرون وجه الأمير مرسومًا على وجه
القمر، فيغرقون في الوجد ويطيرون الحمام الزاجل
إلى أركان الدنيا.

§ من شدوا الأميرة

قال لي العرّاف:

في خطوط يديك

أقرأ.. اليقين

كوني من.. تكونين

وامضي.. حيث تمضين

فقد عبرت.. أول بوابة

في الغابرين
ما كان .. كان ..
إلا حُبكِ
سيبقى .. كدرًا
طول السنين
لن تمتلكي في عصورك دارًا
وستسكنين .. قصور الآخرين
سيدرك التاريخ أميرة
وأنت ترفرفين المأ ..
وتنزفين .

... وفي ذات فجر، وقبل أن تأخذها الغفوة إلى النوم،
طارت من صدرها حمامة بيضاء، انطلقت صعدًا نحو
السماء .. نشرت الحمامة جناحيها فصارت بلون
زرقة السماء، أو زرقة البحر .. لهجت المرأة في
سرها : "هل هي الحمامة أم روح ملاك ؟"
وأخذت تترنم، لا تدري إن كان فرحًا أم نواحا ..
(صوبك سارت قوافل الروح ..
لم .. !!
ررفت كالإمام .. في ظني ..)

.. هل كانت حمامة صدرها رسالة، أم كانت إشارة؟..
لاذت المرأة بالبتراء في رأس الجبل.. كانت البتراء
تعتلي العرش تمارس بهاء الخالدين من نسل الملوك
الراجلين الحاضرين.. أخذتها إلى صدرها، همست
لها بحنان العاشقات العارفات أسرار القلوب:

- هل أتاك في الغفوة..؟

- لم يفارقني طيفه منذ الغفوة الأولى يا مليكتي..
لكنه الوجد أخذني فبكيت و..

(تذكرتُ أنا كنا نجمتين)

تذكرتُ أنا كنا سروتين

نهدي الهوى من الورد تيجانا

فكيف استحلنا.. سرايا

وكيف أمسى ذاك الوجد.. دخانا؟

وكيف دار بنا الزمان.. وكلّ

صار في مكان؟)

واجتهد المريدون في تأويل الإشارة وفك مضمون
العبارة..

قالوا: إنّ الأمير في الغيبة وإن طالّت .. يعود .
وقالوا: الحمامة زاجلة الروح بعد أن راح الجسد .

وقال جدنا الأول :

- يا أحفاد أحفادي :
الحذر .. الحذر، من خلط الأمور ..
الجسم دار عبور وفناء ..
والروح دار خلود وبقاء
والله محبة مزروعة في كل القلوب ..
الحذر .. الحذر .

وقد جاء في الأثر :

أنّ غيبة الأمير طالّت، وأنّ أخباره انقطعت، وأنّ
الأحوال في دنيا الله اضطربت، وأنّ الغيوم غيرت
مواعيدها، وصارت تتكاثف في قبة السماء ليلة
منتصف الشهر العربي، وتحجب القمر، وتقتل ضوءه،
وأنّ المرأة سكنتها رجفة الخوف والوحشة، وأدركها

صقيعُ تسرّب إلى شغاف القلب منها، فهربت عارية
كما الحقيقة، من الفجيرة إلى الرؤيا، وترنمت بما آلت
إليه أحوالها...

(حين ينام من حولي الضجيجُ

يصحو حبك

يلهو في مساحات روعي

ويركض في شراييني

مثل فراشات الليل..)

وتراءى لها سربُ فراش، يخرج من قلبها يمتطي

أنفاسها ويطير سعدًا يخترق مخمل العتمة، ويفتح

طاقة إلى السماء يظهر منها القمر.

حزينًا كان القمر..

وحملت الرؤيا أنّ أميرة الفراشات دارت حول الأمير

فراحت تغني:

(أتهددُ باسمك آناء الليل

ويصيرُ حبك في منفاي

عبادة..)

.. إنه ذات فجر، انشقَّ الغيمُ عن برق ورعد بدون
مطر، فأدركت المرأة أنه الجفاف، فلاذت به.. منه..

(هل أخبرتك الكواكبُ

عن امرأة تحملُ شذاك

بين ثنايا ظلها

تسللت ..

من خلف الضجر

وراحت .. صوب البحر

حدائقُ اشتياقها .. غاصت بالطحالب

تترقبُ .. صفيرَ المراكب

لتلقاتك .. في الموعدِ المنتظر..)

وقد جاء في الأثر :

عن جدنا الأول أنه هبط من الغيم على صورة هالة
من ضوء تشع بالألق، وأن من أكمامه خرجت
أسراب عصفير ملونة، هبطت على الأرض فرادى لم
يجمعها جامع، فارتجت الأرض، فطارت العصفير نحو
قبة السماء، وانتظمت في سبعة أسراب، وتلونت من

جديد، وصارت قوس قزح تقف على رأسه حمامة
بيضاء بلون الفجر.. وسكنت الهالة معلقة بين
السماء والأرض.. فتسمر العشاقُ والمريدون، كل
في مكانه خاشعون، حتى خرج على الدنيا نداء
بسبعة أصوات.. قيل إنها صدرت من سبع سموات
طباق :

" لا تغادروا الحلم حتى تفهموا الإشارة.."
فهلل العشاق والمريدون، واصطفوا في سبعة صفوف
متوازيات منحنيات، وقفت المرأة على رأس
الصفوف بثوب أبيض، خرج من صدرها حمامة
بيضاء طارت نحو الهالة، واخترقتها.. صعدا إلى
السماء، واخترقت الغيمة إلى ما بعد المرئي من
الأشياء.

§ من شدوا الأميرة

وقيل : إنّ المرأة ما زالت تعيش الحلم خياراً، وتتهيا
للحضور منذ أن يتخلق القمر، تتزين بأجمل زينة

وتطيب بأغلى طيب عندما تنشق عتمة آخر الشهر
وينبج ضوء أول الشهر الجديد، ويظهر القمر
شريحة ضوء خجول، يسبقها قلبها إلى رجل
يسكنها، وتستحلب ريقا من شوق ورغبة وتهنف..

(ليكن حديثك طويلاً.. بغير انقطاع

علّ ضياعي فيك.. يصلُ نهاية

وأيقنُ أنك محالٌ

وأن دروبنا.. بغير التقاء)

أما إذا انتصف الشهر، وتدور القمر برتقالة مرسوماً
عليها وجه الأمير، يأخذها الحضور، وتطير على
رجفة جناح قلبها..

(لأن حضورك رائع.. وممتع.. بطعم قهوة الصباح

ولأن الكون يُصبح.. فردوساً

حين يضحك وجهك لي.. في الأقداح

ولأنك تمر.. كاليمام

فتهدأ الأعاصير والبحار

وتعجُ برودة لذيذة في الرياح

ولأني أحاكيك كل يوم
في يقظتي ومنامي
في المساء.. وفي الصباح
أصدرَ المنفى بحقي..
أحكاماً عرفية!!
أمروني أن أغلقَ.. نوافذ قلبي
والأأراك.. في أحلامي!)

.. وتمضي الأيام وتدور، ويكتهل الشهر القمري،
وتزحف عند نهايته العتمة الموحشة.. فتسقط المرأة
في بحر الهموم وتتلاطم من حولها أمواج الوحشة
والخوف، وشهقات الموت..

(مركبتي تتأرجحُ ساكنةً في البحر
ومعجزتي.. ليس لها وجودٌ إلا
في كتب السحر)

فتلوذ بالجبل، وتقف بين يدي البتراء الملكة، تبثها
أحوالها من فرح ووجع.. ولسان حالها يقول:

(حين تراكضت دوائر الماء..

نحو مرافئكَ

ونادتني الريح لأودعَ شواطئكَ

أيقنتُ أن ليلي سيكون موحشاً... وطويل

أطفأتُ ما تبقى من شموع

كالمخنوق .

أطلقتُ شهيقاً

• • •

ما يحير علماء ثورة الاتصالات هذه الأيام، ومنظري
نظريات العولمة هو طريقة التواصل، بين امرأة لاذت
بديار البتراء تنتظر الأمير حتى يعود، بعد أن شفروا
قنوات الاتصال بينهما، ووضعوها تحت رقابة
صارمة على مدار الساعة، وشكلوا طواقم تضم
علماء من كافة تخصصات المعرفة؛ بدءاً من العناية
بالأطفال الخدج، وانتهاءً بأمراض رؤساء كبار الدول،
مروراً بكافة العلوم، ولم يتمكنوا من معرفة كيف

يقطع الأمير الصحاري ويشق البحار، ويركب متون
الرياح، وينتقل من بيداء إلى بيداء في الطريق إلى
الأميرة.

وفي يوم بثت المرأة همومها ونجواها للبترء الملكة
فأخذتها الملكة إلى صدرها، وربتت على ظهرها،
ومسحت دمة سالت على صفحة خدها، وهمست:
- لا تجزعي لن يتمكنوا منه يا صغيرتي، لأنهم لا
يؤمنون بالحلم زاجل القلوب، ولا يعرفون الأمل..
ولن يكونوا يوماً على قوائم الخلود.



مقهى الذاكرة

§ هالة من ضوء

نثرت الريح نتقا من حكاية.. سرت خبراً على ظهر إشاعة.. أنه في قرية معلقة بين قاع الوادي وغرة الجبل.. وقبل انبلاج الفجر، ظهر في سماء القرية هالة من ضوء، جعلت الليل نهاراً، ونبهت الكائنات الغافية على أحلامها وأشواقها.. وهبطت الهالة على الأرض، وسارت في الطرقات والأزقة، وتوقفت عند باب موصد منذ سنين.. فانفتح الباب عن أمير، اختلف الناس فيه واتفقوا..

كلهم يؤكد أنه يعرفه..

وكلهم يؤكد أنه لم يره من قبل..

وكلهم اتفقوا أنّ الأمير سار مع هالة الضوء، وكان صامتاً على سهوم..

وكلهم أجمعوا أنّ الهالة صارت فجأة قنديلاً صغيراً.. وأنّ الأمير سكن فتيلة القنديل.. وأنّ يمامة ظهرت فجأة حملت القنديل وطار.. وأنّ صوت عجوز قديمة شق سكون الليل، أخذت تولول وتصيح:

- اختفى زوجي..!

ذهل الناس.. فالقرية قد ودعت زوج العجوز قبل
جيلين وأكثر..

لكنها لم تتوقف عن النواح حتى صدقوها..

- طار من حضني إلى قبو اليمام..

وقيل : إن ريحاً لطيفة هبت على القرية، حملت معها
سرب عصافير، هبط في حجر العجوز، فتحوّلت إلى
صبية بهية، تسمرت عند فاصلة بين الحزن
والفرح..

وقيل إن العصافير بنت أعشاشها على هامات الشجر
في القرية، ووضعت بيضها ورقدت عليه حتى فقس
عن عصافير البراءة، التي هبطت ذات ليلة على
نافذة امرأة أن تناجي بعيدها..

وقيل في المرأة إنها كلما فاض بها الوجد تدلق
همومها ودموعها بين يدي البتراء..

ويقال إن عصفوراً عبر إلى صدرها ذات صباح..
فشهقت فرحاً:

- زاجل أنت.. أم أنت هو؟!

قال العصفور:

- اتبعيني تجديه.

- إلى أين؟

- إلى قبو البخور.

- وأين يكون؟!

- في مقهى الذاكرة.

وطبع قبلة على بؤبؤ عينها، فتعرفت على طعم رجل
ما زال يسكنها.. تمتمت:

(ربما هو.. لو أراه.. لو أشم رائحته ولو على بعد
آلاف الفراسخ).

وعبرتها رجفة حلم.. رفرف في صدرها فرخ يمام..
نزفت عرقاً بطعم الفل.. أو قل بطعم الياسمين..
حضنت صدرها.. همست:

(أهلاً بك في مقهى الذاكرة.. قد قطعت لك معي
تذكرة، فأنا أرتاده كل يوم حين أشعرُ بالحنين..
وحين يصبح الليل منفى ولا أستطيع وحدي أن أدرك
آخره).

ومع الفجر صاحبت أول دفقة ضوء، وانتعلت قلبها
إلى البتراء في حضن الجبل.

§ قبو البخور

أخذتها البتراء إلى حضنها.. فتشت في عينيها..
ضحكت:

- جئتِ تسألين عن قبو البخور يا صغيرتي؟
ودست رأسها بين مفرق نهديها وقالت:

- ماذا ترى صغيرتي؟

- بعيد يَقترب.

- وماذا تشم صغيرتي؟

- رائحة لم تفارقني منذ غفوت على صدره.

- أنتِ في القبو إذن..

وصحت على رجفة صدرها.. وهتفت:

أخبرني أين كنتِ.. وكيف حالك؟

(هل تُهتِ.. في الدوائر؟

أم تَلاشيتِ في الحاضر؟

أم أنكِ مثلي... لا زلتِ تكابر؟)

هاتف يأتي من بعيد..

" نحن على ميعاد يا مليكة رُوحِي فانتظريني.. "

وقفت على بياض العين دمة من بلور.. يرقص
داخلها أمير.. طار بها الوجد.. واختلط عليها هل
كانت البلورة من ماء عينيها، أم هي من دمع
الأمير.. سألت:

(ما الذي ... أخرك؟
هل أنت مثلي تهرب.. للنسيان؟
فهذه هي.. منطقة الخطر.. والأمان
فللصمت هنا تراتيل
أعذب من كل الألحان
ألم يخبروك أنني.. انتظرتك طويلا
بحثتُ عنك.. في كل مكان
حملتُ وجهكُ معي..
في كل الأزمان.)

§ نادل المقهى العجوز

جاءت المقهى تسبقها خطواتها على بلاط الطريق..
نقر ظبية ما أسمع، أم وقع مهرة هبطت من الحلم
على ميعاد مع فارس ملّ الانتظار وغادر المقهى قبل
لحظات.. لم تمسّ شفتاه كوب القرفة بالزنجبيل..
وسألته أن ينتظر حتى يشرب ما طلب.. ربت على
كتفي وقال..

- أخبرها أنني يوماً سأعود..

دخلت القبو تأخذها القشعريرة إلى مساحة الروح،
وتأرجحت على بياض العين دمة الفقد.. أشعلتُ
البخور على كل الموائد.. صار المكان سحابة حلم
ومساحة رؤيا.. ووقفت بين يديها:

- أهلاً بك يا سيدتي، شرفت المكان.

أخذت على حين غرة..

- من أنت يا سيدي؟!

- خادم المكان الأمين.

رفر ف في صدرها فرخ اليمام.. حضنت صدرها..
نزفت عرقاً بطعم الفل.. أو قل بطعم الياسمين..

§ ثقب الخاصرة

آه من رشق السهام ينلن من خاصرتي.. آه من نرف
قلبي.. قلبي يبحث عن ملجأ يلوذ به بضع وقت..
لكنها البداء مقفرة، والمسافات بعيدة، ودمي
يسبقني.. يا إلهي هل أنا ظله أم هو ظلي؟.. لكنها
الغيبوبة، أو ربما الغفوة، سيان.. لم أعد أملك من
أمري غير روعي..

جاءني بعضي في صوت رجل..

- لم ينالوا منها بعد.. إنها تجالذ الوقت حتى يحين
الوقت..

- وكيف عرفت؟!

- تركت بعض روائحها في المكان..

ضحك الصوت، خلته يسخر مني، والتبس علي
الأمر، هل أنا أرهف السمع لنبضي، أم صوت رجل
آخر يقرأ نبضي؟! فاستغثت بلؤلؤة ما زالت حاضرة
في.. تشع مع نرف الخاصرة.. وهتفت:

- هل أنت أنا.. أم أنت...؟

- خذلكَ الوقتُ يا أمير.. إنما أنا حارس القبو.. نادل
مقهى الذاكرة، يا نورس عسقلان؟..
ورأيتهما فجأة ترقصُ على ضوء بلورة ثقب الخاصرة
عاتبة كانت!!.. باكية؟

- ما بها يا حارس القبو الأمين؟!
- هي ما زالت في برزخ الانتظار بين وله الفرحة
وصرخات الفجعة.. هل تراها؟
- كيف لا.. هي ترقص الآن على موج عذاب
الخاصرة.

وأخذتها من خاصرتي إلى عيني، ورحنا نرقب
المدى.. كان الوقت نهايات نهار، والشمس قرصاً
برتقالي تجلس عند خط التقاء السماء بالماء؛ تجلس
على صدر البحر؛ تمشط ضفائرها جديدة من برتقال
ورأيت النورس قادماً على متن الجديدة يعلو ويهبط
لاهيأ.. حتى إذا ما بلغ الشاطئ سار فارداً جناحيه
يتبخر.. قبلني بين عيني.. وهمس:

- هي بسلام، ما زالت تلضم من حبيبات الوقت
قلادة.

- هل قابلتها يا طائر الفرح.. وأين؟
- لم أقابلها، ولكن حدثتني عن أحوالها أختي اليمامة التي ترقد على بيضها في القبو.
- أي قبو.. وفي أي مكان؟
- قبو مقهى الذاكرة.. في اللامكان.. في كل زمان..
- هل نسيت يا سيدي الأمير لعبة الوقت.. يصبح الحاضر أمس، والغد حاضر..
- والأمس؟!!!
- يدخل جنة الحلم في مقهى الذاكرة.
- الحلم أو الكابوس.. لا عليك، ماذا خبرت اليمامة؟
- رقص الطائر وامتطى ضفيرة الشمس، يممّ شمالاً إلى وليفته التي تنتظره فوق منارة عسقلان.. قال:
- هلا أتيت معي..
- فجأة انهمر الموت..
- كانت زوارقهم تترصد كل صاحب حلم.

§ قبوالبخور

وقع خطأ.. أو نقرات حبات المطر، أم ظبية حلت في
المكان..

حدث نفسه نادل المقهى.. وسبقها بكوب القرفة
بالزنجبيل.. همس بودّ:

- فلتشربي سيدتي.. وانظري في الفنجان تجديه..
ورأته يصعد على موج البخار.. لا تدري إن كان
على فرح، أو كان على وجوم.. واحتسته رشفة
وجد..

(لا بأس.. لو قررت الرحيل
فقد تعودتُ الجلوسَ وحدي
وتعودتُ أن أحدث نفسي
لأنك تأتي وتمضي سريعاً
ولا تتركُ غير الرماد..
في صحن السجائر..)

وصحت على النادل وقد وضع على الطاولة شطيرة
طأيت بـ"القمير" مزروع بثمار رطب سومري،
حاضر للتو من بلاد الرافدين..
فاض بها الوجد..

(رغم الرياح والمطر
بعد قليل سيتوقف هذا المطر
وينزغُ الوقتُ عنه..
رداء الضجر.
سيتغيرُ لون السماء
وتزدحمُ مدني
بالوجوه..
سأنتظرُكَ.. عند الباب
وأرقبكُ.. تتسللُ
من الغياب
سأنتظر رغم العتمة.. والضباب).

§ نادل المقهى العجوز

جاءت البتراء تسألني عن أجندات قديمة.. تبحث في
غزو وسبايا ورحيل.. تبحث في شأن سومرية لاذت
بها، تسألها عن أمير طار به الرخ إلى حيث لا
تدري.. رقصت في السقف اليمامة.. هدلت بصوت
كالوجع.. عضت البتراء قلبها.. ذرفت دمعة قالت..
- آه يا لهفي عليه سدوا عليه المنافذ عند رابية تقع
بين موتين في غزة وبابل، غرسوا على مشارف
غزة كفا ملوثة بالدم مكتوب عليها.. هنا "ايرتس"
ممنوع الدخول..

قالت البتراء:

- يا لهفي عليه.. كيف يجتاز المسافة.. كيف يتعمد
بماء الأردن كما المسيح.. قبل أن يصل إليها..
قلتُ:

- يا سيدة البلاد، دارت الأيام ودانت الممالك والدول
لكنه الأردن باق كما دجلة والفرات.. وظلت البتراء
في حضن الجبل أميرة.

بكت اليمامة ذرفت دمعة من دم شهقت لوعتها..
- إنه ينزف من ثقب غدر نال منه الخاصرة..
صرخت البتراء:
- ولو يا يمامة الروح.. إنه سيجتاز المسافة..

§ ثقب الخاصرة

دعوني أعبّر.. إني على ميعاد معه عند أعتاب
المنارة في عسقلان..
زرعوا الموت في صدري.. صرخوا:
- أين البطاقة أيها البدوي الغريب؟!
- أي بطاقة؟ فأنا السومريُّ الذي يدل رسمي على
اسمي.. إن نسيتم!! فأنا..
- أغرب خلف الشمس، لاتدنس أرض الرب "ايرتس"
اليهود..
بقروني في الخاصرة.. شهق اليسوع فيّ، وعمدني
الرسول ابن عبد الله.. طالهم الغبش.. فلم يروا
النورس يأخذ روعي يثبتها راية على رأس المنارة..

لم يروني كيف عبرت المسافات، كيف مشيت درب
آلام المسح.. وكيف أويتُ في قصر ابن هشام؛ أتزود
بعض راحة للوصول إليك..
آه يالهي عليك، لم يشغلني عنك سواك، لكنهم زرعوا
الدروب إليك بالعسس، نشروا العيون قبل أن آتي إليك
فانتظريني، إنني أتزود ببقايا نبض قلبي للوصول.

§ قبوالبخور

عجب النادل في أمر اليمامة.. لم تخذل إلى عشها
كالعادة هذا المساء.. ظلت تحلق في سقف البهو..
تهبط على طاولة في الركن القصي.. وتهدل
بالفرح.. حتى إذا اقترب الميعاد، شكت على سطح
الطاولة عودًا من بخور، وأخذت ترقص..
ضحك النادل على وجدٍ قديم، وحدث نفسه..
"يا لك من يمامة شقية وذكية، حرّكت فيّ شجن
اعتقد انه لطول الغفوة مات..
طارت خلف أذنه، وشوشته:

- العشق للروح، لا يموت وإن فني الجسد.. هل
نسيت!

وأطلت السومرية في ذات الميعاد.. جلست على
الطاولة في الركن القصي.. وضعت أمامها شطيرة
مضمخة بالعل، مطرزة بزيبب الناصرة.. هبطت
اليمامة أخذت منها زوادتها.. وقطعت المرأة للنادل
حصته.. وهمست..

- ها هو فيَّ قد حضر..
وأخذت تهامس طيقًا بعيدًا..

(أتذكر.. هذا الركن
أتظنني قد بالغتُ في اقتناء
التحف.. والأشياء؟؟
انظر.. كم جميل ذلك الماضي الذي
يترأى من خلف الستائر..
لا تبدد.. فرحتي
ربما أكون قد بالغتُ
في اللوم.. والجفاء
كل شيءٍ يستحقُ المحاولة

كل شيء.. يستحقُ العناء
اغمضْ عينيك قربي
دعني أنفضْ عنك
غبار السنين.. والسفر
بعد قليل..
سيتوقفُ هذا المطر (.

§ ثقب الخاصرة

بينما كنت أعبر البرزخ بين ذاتي وذاتي.. جاعني
النورس على صغيرة شمس ودعت النهار.. قبلني
وقال:

- أين وصلت يا صديقي؟
- أعبرُ مني إليّ.. أعبر من جسدي إلى روعي..
- أقطع لحظة هي ما بين الفناء والخلود.
- الخلود/ الذاكرة.. اخرج من فناء لحمك وانفقت..
- وانفقتُ من أسري..

ووجدتني أتوسد صدر أميرة.. أعبر الأجندات إليها،
وأرى التواريخ خلفي شلال سراب.. وأرى شيئاً
كالجنون أو المجون في دنيا العرب.. وأرى الكرامة
مثل قبح وصيد.. وأرى الخلاعة والمياعة، والأسباد
هم العبيد..

ورأيت الله يذبح في.. يسحل في الشوارع على وهم
الصراع.. يعرض في سوق مع البقايا والنفايات في
سوق فراس بغزة.. وفي بغداد في سوق الكراة،
وفي سوق العشار في البصرة على مرأى من النخيل
عند أقدام الخليج.. و...

ورأيتها تسري في دمي؛ تلهث مع نبضي في كل
المطارح.. تمسح دمعتي ذاهلة بصمت.. هي لم
تفارقني يا صديق.

عجب النورس من حالي، قال:

- ما الذي تبحث عنه؟
- هي، وإن طال المدى.
- هي معك.. أنت قلت.

- هي معي نصف روح في المنفى.. ونصف الروح
ما زال أسيراً في الوطن..
صمت النورس على وجع، وراح يتقوت على نصف
كبد، ويردد..
" ما أفسى أن يكون الوطن منفيًا في الوطن.. "

§ قبو البخور

كانت اليمامة في عشاها.. ترهف السمع لمناداة
الأميرة، فيما كان النادل يرتب التواريخ على أرفف
الذاكرة على جدران القبو..
الوقت خشوع وسكون.. والأمير منشغلة بمناجاتها..
تنظر إلى زغاليل اليمامة يأخذها الهيام.. يرقص على
شفتيها نبض أمير.. تترنم..

(لنزر كل المدن التي كنا فيها.. نصبح سرباً من
حمام.. لو تعلم كم أشعرُ بالسكينة.. حينما أسمعُ
أجراس الكنائس وابتهالات المآذن والقباب..

سأطفئ الآن ضوء القنديل .. فتعال لنحتسي الشاي ..
لا .. لن أطفئ القنديل ..
أستحضر وجه أُمي وأقبل عينيها .. قليلاً ،
وأشم رائحة بغداد .. قليلاً
وأمشي على جسر التحرير حتى سوق العصافير ..
أقف عند بائع الزنجبيل ، وأشرب من يديه
نخب الرح .. عن الزمن الجميل ..
أسمع من بعيدٍ
ونة .. ناي !!
أتدري .. ما أذكرُ الآن ؟؟
أذكرُ أني يوماً زرتُ
العشّار
أذهلني .. سحرني
منظر الخليج
والنخيل .. والأشجار ..)

§ هالة الضوء

عن اليمامة، عن النورس، عن النادل، عن البتراء
الملكة..

أن الغيبة مهما طال بالغايب يعود.. وأن هالة
الضوء تذهب وتعود، ولا تفني ألا بفناء الشمس..
وأن الأمير ما زال يدور حول المدينة العتيقة، تصده
البوابات عن مسرى الرسول.. وأن عسسًا يقفون له
بالمرصاد كلما حاذى حائط البراق، أو اقترب من
السور.. لكن كل من دخل المدينة يشهد أنه رآه يقطع
درب الآلام، يقتفي خطوات ابن مريم عيسى المسيح،
ويصلي الصبح حاضر خلف الإمام في الأقصى
الشريف..

وأن الغيبة وإن طال بالغايب لا بد يوما سيعود.

وعن اليمامة، عن النورس، عن البتراء...
أن امرأة سومرية غادرت بابل بلاد الرافدين في زمن
الالتباس.. تركت نصف روحها مع الأمير.. وأنها
كلما استبد بها الشوق، تحمل الغائب بين الجوانح إلى

ركن قصي في قبو البخور تنتظر.. حتى إذا ما فرغ
المقهى من الرواد، وانتهى النادل من ترتيب الحكايات
فصول.. تناجي السومرية بعيدها وهي على يقين أنه
لا بد سامعها...

(لم يبق إلا..
أنا وأنت أيها النادل..
لا أسماء، لا وجوه، لا سطور، لا حروف
ولا فواصل!
وهو..

يأبى أن يفارقني
كالجمر.. يُحرقني
فأشقى
أما عندك وصفة لي
تجعلني من هذا الحب
أشقى؟)

تأخذ الرجة النادل، تحفر في تجاعيد العجوز نهر
دموع.. يبكي مثل طفل ضاع في الطرقات..

- كفكفي دمعك، فوليفك ما زال على قيد الحياة، وإن
طال المدى.. أما أنا فقد قتلوني قبل جيلين، ووليفتي
ما زالت توصلد الباب عليها تنتظر.
رقت المرأة لحال العجوز قبلته.. هشت له:

(دعني أمسح دموعي

وأستجمع.. بأسّي

هات.. آخر فنجان شاي

معطراً.. بالهال

ما أذكرى رائحة الشاي..

لا تطفئ القنديل

دعني..

أستحضر وجه أمي

وأقبل عينيها قليلاً

دعني..

أشم رائحة بغداد.. قليلاً

وأحضن بغداد في ذاكرتي.. قليلاً

دعني أمشي على جسر التحرير

حتى أصل سوق العصافير

وأقف عند بائع الزنجبيل

وأشرب من يديه

نخب الرحيل..

عن الزمن الجميل..)

يكتب النادل على الرقعة ما سمع.. يضع الرقعة على

رف من رفوف الذاكرة.. يأخذ يد المرأة، يطبع عليها

قبلة مخضبة بالدموع..

— مهما طال الغيبة بالغائب يعود.

عند فاصلة الوهم

§ بوابة فاصلة الوهم

هل تعبت منا الحكاية؟

أم نحن من تعب من الحكاية؟!

أم تراه الوقت يطلبنا للقفز عن فاصلة تائهة بين
الغفوة والحلم، والطرقات تطلب خطانا؟.. هل تسمرنا
عند فاصلة الوهم؟.. وهل طابت لنا دار مقام؟
نهرب من عذابتنا، نمتطي الحلم أفراس رغبات
وشهوات مستحيلة.. لكنه الوقت كسير، والريح
صفراء تمطر طيئاً ينبت شياطين عذاب.. تأكل منا
اللحم.. تهرس فينا العظم.. فتفر الروح منا إلى تيه
الذاكرة من جديد..

فالذاكرة في مواسم الجفاف أمست حقل زهور ذبلت
عند شهقة العطش المقيم..

نصحو فتمضغنا الرواية.. أي رواية تطفئ فينا
عطش الظامئين يا امرأة من عطش..

فالبتراء يانعة في بطن التواريخ الغابرة.. منقوشة
سيرة على وجه قصر من حجر في بطن الجبل..

ذهبت الملكة يا سيدتي.. وما زال الحجر..
ماذا تبقى فيك يا سيدة الحلم من رياح السومريات..
من عبق جلل وجه الضفتين قرونا بالبهاء..
آه من عذابك والرافدين يفيض عليهما اليوم دم
الخصومات الرخيصة..
تزهو الأرض هناك آمالاً قتيلة، ترضع من ثدي
الأرض نواح السومريات الشاكلات نواحاً.. هل ناحت
أمي السومرية عليّ في شط العرب؟..
وهل ما زلتِ تحملين علي عين قلبك قنديل فرح؟!
وهل ما زال قلبك يرقص مع تهاليل الطرب؟..
وأنا القتيل.. ماذا تبقى لي من مواعيدي إليك؟..
هل يعمدني الأردن في الطريق إليك مثلما فعل مع
المسيح؟.. أم تراني بتُ مرجوما بالغربة كنيّتي/
اسمي.. لا فرق "غريب".. بعد أن شطبوا "عسقلان"
من خرائط الذاكرة.. وضعوا بدلاً منها "أشكلون"
علامة استفهام مبهمة بين وعد الرب لقوم الصابئين
المارقين على الوصايا، وبين خير أمة أخرجت
للناس.. قتل الخير فيها وتربع الوسواس بين
جنباتها.

لم يبق من الخير إلا بعضه بين دجلة والفرات .
وبعض الدم المسفوح حول مسرى النبي يندلق نهرًا
يحفر مجراه يصب في أكناف غزة ..
هل تعود بنا الأجندات .. أم هو الوهم / الحلم يأخذنا
إلى حياة غير ما نحيا في الحياة؟
آه يا لهفي ولهفك من طول انتظار الغائب حتى
يعود ...

متى يعود؟!

هل تعود يا سيدتي مع نور الصباح؟ ..
هل نهبط مع غيم الوجد قطرات ندى على خد وردة
أم هي الأقدار أخذتنا عنوة عند فاصلة الانتظار؟ .

§ هداة السكون

معلقة عند خاصرة الجبل، بين سقف الله وجب
الوادي العميق .. هي فى شرفتها تسامر الليل .. تفتح
صفحات الدفاتر .. وثمة قمر يرسل ضوءً شاحبًا
يموت قبل أن يصل إلى الوادي .. يغرق الوادي في

حلقة زرقاء.. ترهف السمع..
لا شيء غير وشيش ريح جفاف تنذر بشتاء قارس..
تغفو على وسادة الرؤيا.. تناجي سيد قلبها..
" يا ساكنًا في الغياب أما آن للمدى.. أن يحمل قوافلَ
الصدى وتتفتقُ رؤى الأحلام.. حقيقة "
قلبها يزفر غصة حارقة...

(سأتدثرُ بصخب حلم، أرسمُ على ضباب الزجاج
دوائرَ الوهم.. وأضحكُ حتى الثمالة.. وفي الموقد
أحرقُ كل أوراقِي؛ علني أيقنُ أنني فيك تجاوزتُ
حدود المحال، وأنتَ حاضر غائب لا يتعدى الخيال...
تعبتُ من الحلم..

تعبتُ من التسكع في أروقة الوهم
تعبتُ من عبث محاولة اصطيد عينيكَ
تعبتُ من التفكير كيف سيكون اللقاءُ في حضرة
شفقتك

ومن التكهّن بأن..
الشتاء يناديني
أن أضيءَ نار الموقد..

وأهیی فناجینی
فالأحادیثُ عندنا ستطول
واللیالی.. ستطول
زوادة الشتاءِ یا بعیدی
نارٌ وقهوةٌ...
وشعرٌ یدفی شرایینی).

§ علی راحلة الوقت

لا تغلқи علیک نوافذ الرؤیا.. إنی تعریتُ من الوهم،
وامتطیتُ راحلةَ الوقت.. حملتني الريح إلیک، لم
تخذلني المعابر والمتاریس، ولا وشى بی الأردن
للذین ينتظرون موتی.. أخبُّ فی الطرقات أمضي
نحو القبو.. لكنها الیمامة لم تلح لی.

هل غادر القبو المكان؟

لم أجد من يأخذني إلیک.. وعلى ناصیة؛ كان العجوز
ییسط راحتیه.. فالتبس الأمر علیّ، إذا ما كان یتهل

إلى الله أو يتسول.. نفحته بعضاً من زادي.. ضحك
ساخرًا مني:

- خبزك يا فتى لا يعصم من جوع.
- هذا ما تزودت به في رحلة الانتظار.
- إذن أنت الغريب؟!
- أنا هو.. من أنت يا سيدي.. من تكون؟
- أنا حارس القبو؛ نادل مقهى الذاكرة، كيف وصلت
إلى هنا يا فتى؟
- على ظهر راحلة الريح.
- من يتسلل مع الريح يا ولدي لا تدب خطاه على
أرض الحقائق.. لا ذاكرة بدون أرض!
- فجأة اختفى الرجل.. وغامت النواصي والطرق،
وحملتني الريح إلى خاصرة الجبل، وهبطتُ بين
سقف الله وقعر الوادي.. صرتُ فوق العتمة وقبل
الضوء.. أرى ولا أرى.. ولكني سمعت صوت امرأة
أعرفها ولا أعرفها.. صرختُ:
- أين أنا؟!
- عند فاصلة الوهم.

- من أنت يا سيدتي؟؟ هل أنت هي؟..
لم يصلني غير وشوشة الريح.. ورجع ناي بعيد.

§ هداة السكون

قارس هنا الشتاء.
ثلجٌ وثلج على مدّ النظر.. الريحُ تصفرُّ عند شبّابي
والليل ووجهك البعيد، وأوراقِي وشوقُ الذكريات
والصور.. وأنا كلما مضى بي العمر، واشتدّت عليّ
قسوة الدهر وخبرتُ الصبر أكثر... أحبك.. أكثر..
معك تلتقي الخطوط.. عنك لا تحيد..
كل النساء يتقلبن مع الفصول، إلا أنا.. أعش على
مدار العام في مدار فصل وحيد.. أنت فيه الشموس
والأقمار والنجوم.. وكلام ليس مثل الكلام لا يقال إلا
لك.. في حضورك أصير فراشة تعشق نهايتها على
دفع لهيبك.

اليوم عيد ميلادي.. حضرت وكنت معي على مائدة
القصيدة.. مررتُ يدي على يديك أذيب الصمت.. كنا

كأغنية جوفاء.. ألم تشعر بيدي وهي تتراجع بعيداً؟
هل وصلك حالي؟.. ولماذا أطلقت تلك التهيدة
الطويلة؟..

لحظتها يا بعيدى، وقعت عيني على حبيين
يتهامسان.. كانت هي سعيدة.. وهو يطير بها إلى
مدن جميلة..

(اليوم عيد ميلادي
أترأك تذكرُ..

في الصباح
لبست أحلى فساتيني
أمام.. مرآتي
تمنيت لو كنت هنا
لتراني..

وأنا أزهو بسنيني
جاءني الصحبُ والرفاق
تلقيتُ الورود والهدايا.. والعناق
عيناى تتنقلان قللاً
بين الهاتف.. والباب

حين أطفأتُ .. شموعي
صرخت روحي .. بألف عتاب

لو كنت معي في عيدي
لأسندتُ رأسي المتعب .. على كتفك
وربما كنتُ سمحتُ لك
أن تلفَ ذراعك حول
خصري .. وجيدي

وفي الليل
فتحتُ بلهف بريدي
قلبتُ الرسائل .. وقرأتُ الأسماء
أتراكَ نسيته .. ؟
أغمضتُ عيني
مطرٌ حزينٌ تساقط ..
في سماء روحي
وفي أجندة العمر ..
حفرتُ عاماً آخر .)

جمعت أوراقي وغادرت المكان .. قبل أن نتحول إلى
قصيدة خرقاء .. كلماتها خواء، تثير الضحك والبكاء .

§ على راحلة الوقت

وصحوتُ بين سبع تلال، أو قل سبع جبال، عند
فاصلة الأجندات في تلك المدينة.. هل أعود أدراجي؟
أقطع النهر إليك.. اترك وشم خطواتي على وجه
البحر الميت الذي غاض منذ البدايات قبل التيه في
الأخدود العميق.. أصد من قاع اللعنة إلى درب آلام
المسيح في القدس، وأمشي الرحلة دون إكليل شوك
متخفيًا عن عيون من يرصدني..

كم مشيت الرحلة يا سيدتي.. كلما انتهيت عدت لأبدأ
من جديد.. هل أتيت أنا بعد سيزيف؟ أم تراه ذلك
اليوناني جاء بعدي؟.. أخذ عني..

عند فاصلة أقف تأكلني الحيرة سهم بوصلتي توقف
على سن الدهول أم الجمود.. أنقذيني بالحضور يا
سيدة النساء.. أم أقفز عن سبع جبال شاهقات إلى
ملاعب الأولى بين الدجلتين..

- هل أنت هنا أم هناك؟..

صوت نادل المقهى يسخر مني:

- هي دائمًا هنا وهناك.

أن ألقاك.. وأنت للوقت سبيّة تطلُ مُدْماًة من رشق
حجارة ذوي القربى، وأنت بنت اللحظة، ما خنت وما
عرضت وله الفاجرات ثم تبت مثل المجذلية.. أنت
جنت مبرأة من كل الخطايا إلا من خطيئة قلبك الذي
يرضع من زيت زيتون جبل العاشقين.. ولا مسيح
في هذا العصر يغسل إثم الوجد عن وجهك.
أنت البهية..

أي كفر ما يطلبون؟!!

أم تراني المنذور للبحث في التيه عن أميرة خرجت
من حدائق بابل، انطبعت على مرايا عينيها وصايا
من أحفاد العربي الأول نبوخذ نصر، ضاجع عند
لحظة وجد نخلة في بلاد الرافدين أنجبت منه أميرة
سومرية.. وأنا التائه بين الفواصل وسطور أجنات
مزحومة بأصداء جلجلة قادمة..

كيف الوصول إليك والوقت ضلالة؟ والريح تحمل
مطر الطين وشياطين الفتنة وذبح الأنبياء الأبرياء..
قدري يا سيدتي أن آخذك إلى خاصرتي.. وأفرد قلبك
جناحين بهما أطيّر.

نسكن في إبط الغيمة ونجدلُ من الحكايات حبات مطر
يهطل مع الفجر ندى يورق بين الشفاه الحالمة
وردًا.. ينشر روح الياسمين.

لو تعلمين..
إني وشمك على قلبي فراشة، فصار قلبي قنديل
فرح..
فاهبطي في بساتيني.. لنشدو ونغني.. ونرتل بوح
العاشقين المخلصين.

§ هداة السكون

هل نقفز عن فاصلة الوهم إلى مساحات الأمنيات؟..
والوقت شروط وضرورات مرارة.. يأخذنا إلى ما لا
نريد ونشتهي، يطبع خطواتنا بالغبية.. يقطع علينا
لعبة الحلم.. يحرق فينا حتى رجفة التمني يأخذنا إلى
الهديان..

يا صاحبي إن المشروع بات ضربًا من الهديان في
هذا الزمان.. لو كان بإمكانني أن أحب ثانية، أحبك

أنت.. ولو قدر لي أن أعشق ثانية، ستكون أنت..
ولو كان بإمكانني أن أراود أحلامي وزارتني جنيات
العشق، وطرزت النجوم على فستائي، ونثرت الليل
في شعري، وأطلقت فيّ الأشواق.. ستأتي وتحملني
على حصانك الأبيض.. ولو طلب مني البقاء في
مدارك ساجد الف سبباً للرحيل إليك..

(افتح لي نافذة صغيرة للنسيان..)

امسح كل الوجوه والأسماء..

ازرع ذاكرتي نرجساً وريحان..

اخرج من رأسي الضجيج..

فقد أتعبني هذا الهديان..

الفصل شتاء..

لو يتساقط بعض هذا المطر في صحراء روحي..

الثلج يغطي الطريق...

والشوق في قلبي حريق

تغوص قدماي في الثلج..

أمشي.. وأمشي..

أبحث عن بيتي العتيق.

اسمك محفور في ذاكرة الطريق ..
هل ذوى في قلبك الحب؟
وغاب عن عينيك ما لي من بريق) .

§ على راحلة الوقت

لابأس ياسيدي لو خرجنا من سقف الهم قليلاً، لنرى
ما قطعناه من خطوات .. فأنا درجت على الأرض
ستين خطوة وبضع شهقات من العمر، خطفوني عن
ثدي أُمي فرضعت العطش من الجوع، ومضيت غريباً
أبحث عن أُمي بين السبايا .. هي همي ..

هي في وهمي ..

هي عسقلان، ذاكرتي التي لم أعشها على الأرض
وحملتها بين ضلوعي نتقاً من حكايات مبتورة
شوهرتها حكايات الرواة .. صارت بين فاصلة سكنت
بين الحقيقة والخيال .. صارت ذاكرتي .. وصرت ابن
الحكاية كما قد تصبحين أنت ..

هل تدركين الآن لماذا كلما جئت إليك تفرين بعيداً ..

تحترقين على شوق الانتظار.. أنا ربما من يشبه
بعيدك في الحلم.. ربما كنت ظلًا للأميرة أيامي التي
وقعت في الأسر سبية قبل أن يدركني الفطام.. هل
ندرك كيف يكون عذاب الانتظار، هل أدركت أن القبو
فيينا، وأننا ضيفان على ناصية الغربه حتى نعود..
وكيف نعود والماضي سجل فناء وحضور، والقادم
باب معاناة وذ هول.. في أي المحطات نقف نختلس
بعض راحة نتزود لبقايا الرحلة في ظلام الوقت في
زمن الجور العظيم..

لا بأس يا سيدتي لو اخترنا مساحات النص جغرافيا
جديدة نسطر عليها قناديل الشوق ننثرها في دروب
الغائبين العائدين..

لا بأس لو حمل كل منا وليفه ومضى يبحث عنه في
كل الدروب..

لا بأس يا امرأة ما زالت تعبق ببهاء السومريات،
تجيء في الوهم كنعانية تحمل عذابات المجولية..

لا بأس لو عشتُ أنا فاصلة من الوقت كما المسيح..
لا بأس لو لذت بجلجامش تشربين الحكمة.. ترضعين
الشوق لأرض ما قبل الرسائل بين الرافدين.

هل عرفت كيف يجللنا البهاء عند تلك الفاصلة؟..
إنه الوهم الجميل... إنه قنديل يشع وهج الذاكرة
لتوأمين من شوق وعذاب حتى يعود الغائب من
غيبته، وإن طال الغياب.

§ هداة السكون

في مشواري الطويل مشيت آلاف الأميال.. قطعت
البحار.. هبطت الوهاد.. سعدت الجبال.. ظننت أنني
نسيت، وأني لن أتعذب بالهوى ثانية.. لكن قلبي
خفق فجأة:

- هذا محال

بدون استئذان تعود تخترق ذاكرتي.. تحفر طرقا في
دروبي.. تحطم الحواجز، تعتلي صهوة جواد قصيدي
وتسرج خطاك على إيقاع قافيتي..
هل أنت من يردفني على صهوة حصانك؟ أم أنت
الساكن معي في هودج راحتني؟..
قلتُ لنفسي:

من تكون أنتَ لتمزقني .. لتبعثرني؟

قلتُ لنفسي:

ما أنت إلا ..

لن أشتاق إلى وجهك الجميل ..

سيان عندي إن غاب عني أو ظهر ..

ما بال الليالي بعدك؟!!

طويلة صارت ..

وما خطب سمائي؟!!

أنظر فيها .. فلا أجد قمرًا ..

ولماذا صارت بلا طعم قهوة الصباح

لا تحليها ألف قطعة سكر ..

من منا الذي غاب يا سيدي .. أنا أم أنتَ؟ .. أم هو

المعذب بيننا ذاكرة الوطن .. هل يغادرنا في غربتنا

الوطن؟؟

قال الراوي :

اختلفت الروايات حول اختفاء النادل العجوز...
قيل إنه أغلق القبو بعد أن انقطعت السومرية عن
مواعيدها، وانطلق يفتش عنها في دروب المدينة
حتى عثر عليه في سوق الوحدات، تحمل ثدييها على
راحتيها وتنوح، وقد ارتسم على جبينها صورة
شاب.. قيل إنه أخوها، وقيل إنه وليفها، وقيل إنه
الوطن..

وقيل إنَّ العجوز عندما رآها بلع لسانه وصام عن
الكلام..

وقيل إن السومرية اختلفت بعد أن فقس بيض يمامة
القبو عن أفراخ غربان سوداء عبأت فضاء القبو
بالنعيق، ونقرت رأس النادل، ونثرت حشوه جمجمته
على جدران القبو، ففرت السير عن أرفف المكان،
وأن النادل مات على جحوظ ذهول..

وقيل إن الفتى شوهد في أكثر من مدينة يعرض
وليفته على أطباء العقول، بعد أن أصابتها الجلطة

إثر قصف طال غزوة، هشمت فيها وعاء الذاكرة، وإنّ
الفتى حملها على خاصرته وجاب بها العواصم يبحث
عن نصف عمره الذي ضاع، وإنه عندما وصل القبو
هاجمته الغربان فلأذ بالفرار.

وقيل إن البتراء غادرت عرشها وقررت الغيبة حتى
يعود الفتى إلى مسقط رأسه، وتزف السومرية إلى
بعيدها على جسر الأحرار في بغداد.

6

عبق الياسمين

قالت العرافة :

كلما حضر الفتى، تسكنني رجفة، ويغادرني الكلام..
يذهبُ النورُ عن عينيَّ.. لا أرى على كفه سوى
بياض مثل دمع الصبح.. لا خطوط على الكف
تأخذني إلى مفاتيح الدروب..
أقذفُ الودع على صدر الرمل.. يسقط الودع
صريعاً.. لا ينبس عن وشوشة، ولا يصدر عنه همسُ
ريح..

هل يموت الودع بعد الموت؟!
أم أدرك الودع الصيام؟!
يسحب الفتى كفه من يدي.. ترقص على شفثيه
تمتمة ضاحكة مغمسة بإكسير الياسمين.

§ حال الفتى

كلّ مرة تغلق العرافة عينيها على عجز.. ترتجف،
وتشيع عني.. يخرج صوتها من سرة الموت:
- أنت المرجوم بها يا فتى.

وأعودُ مع خسارتي، قابضاً كفي على ريح غزرتني
وأقامتُ فيَّ..

تصبحُ الريحُ زوبعةً.. تصبحُ عاصفةً من ياسمين..
مَنْ يصدقُ أنني أعاشِرُ امرأةً من ريح بعيدة..
ومن مثلي، يقتات على العبق حتى ذروة الصهيل..
كلما اقترب من حافة الشبع يأخذه الوجدُ إلى جوع
جديد... هل يدركني الشبع يوماً..

هل يخذلني الياسمين يا امرأة تسكنني زوبعة..
لا سحابة تحملُ المطرُ إلى أرضي..
يا إلهي، هل يغادرني الشتاء على جفاف؟..
أَمْ تراني أنثرُ في فلوات الروح بذور الانتظار،
وأقضي العمر على جوعي.. أقتات على رجع صدى
تمطره ريحُ الجفاف مع همس امرأة بعيدة تنتظرني.
(يدي الممدودة لمساءتك)

أرهقها الانتظارُ

وأنت..

لم تعد.. تسمع غنائي

ترتشفنا المسافات

إلا حضورك الدائم..

بين المدى والمدى
حكايات .. نالها الشحوب
والصدى يتسولُ الذاكرة
شوقٌ محمومٌ .. إليك
وموجٌ يشتهي الاحتضار
عند شواطئ عينيك (

متى تزهو بذور الحلم، وتصبحين سيدة الورود في
حقولي؟..
أين أنت؟..

§ عبق الياسمين

يا بعيدى المسربل بالغياب، الراحف وجدًا عند عتبة
اللهفة.. هل حاصرتك الريح مثلي؟ هل عشت العطش
أوج الشتاء؟ وهل دفعتك اللهفة إلى دروب الهذيان؟!
اليوم يا أميري البعيد، الثلج يغطي الطريق، والشوق
في قلبي حريق.. قدمي غاصت في الطرقات.. تصفرّ

الريح من حولي.. والدروب خالية إلا مني ومنك..
أبحث عنك/ عني/ عن بيتي العتيق..
لكنه مازال..
اسمك رغم الثلج محفوراً على ذاكرة الطريق..
لن يضللني يباسُ الوقت عنك..
وإن غادرني العمرُ سأعبر الحلم إلى عمر جديد..
فلا تأخذك الظنون، فأنا لا أتقن النسيان.. وقلبي
مليء بك/ بالألوان..
أم تراك قد ذوى الحب في قلبك..
وغاب عن عينيك البريق؟!
فالريح من حولنا عاتية.. ليس لي غير الأمنيات..
(لو يتساقط بعضٌ من هذا المطر
في صحراء روعي
لأثبت.. نخيلاً وأشجاراً...
وأزهيراً
وفجرَ أنهاراً..
تتغنّجُ فيها المشاحيفُ
على ضوء القمر).

§ حال الفتى

أغمضت العرافة عينيها، جاست أصابعها في دروب
كفي.. شهقت دمعة على صفحة خدها.. راحت العرافة
في الصمت حتى أدركها نوم قل هو الموت، فتسمرت
على رجفة بين النوم والموت.. فحضرت شاحبة..
دمعك على صفحة وجهك بلور غادره البريق...
صحت العرافة من نومها؛ أو من موتها؛ لا أدري..
قالت بصوت أعياء التعب:

- كل الدروب سد يا فتى.. كل الغيوم بلا غيث..
- لكنه الموسم شتاء ومطر!!
- إنه وقت الغواية وموت الرحمة بين بني البشر..
- هي لي.. تنتظرنى.. تعبرني وشوشة ريح عند
الغفوة أو عند السحر..
- فجأة نهضت العرافة امرأة عفية.. صارت غزالة..
أخذتني إلى صدرها.. صارت نخلة تضرب جذرها في
بلاد الرافدين.. هامتها مطرزة بعناقيد من نساء
راغبات.. يصدحن غناءً وطرباً..

فجأة صمتت العرافة.. فجأة داهمني الذهولُ قبل أنْ

يأخذني الهيام.. قالت العرافة:

- ما بك يا فتى؟

- هي ليست هناك.. غادرت عنوة بلاد الرافدين!!

ألقت العرافة الودع على بساط الرمل.. أرهفت السمع

مليا.. رببت على عين قلبي، قالت يوجعها الكلام:

- هي في دروب الحلم تنتظر عند ناصية الوجد، في

وقت الحصار..

ومضيتُ كل الدروب يصادرها العسس.. وركبت إليك

حصان الحلم الذي لا يخذلني.. حملني إلى ضفافك

ونزفتُ على نرفك..

(للرحيل أوان..)

وللقاء مكان

هل جربت النوم..

فوق فراش القلق؟..

هل جربت الكتابة..

والحبر ينزفُ

فوق الورق؟؟)

§ عبق الياسمين

وحدي أسير في طرقات الذاكرة، لو تفتح لي نافذة
للنسيان، لو أمسح كل الوجوه من دفاتر الأيام،
وأطبع وجهك على صفحات الدفاتر..
آه.. من وجع الآه في الصدر..
كم هو مؤلم يا سيدي، الجفاف في فصل الشتاء..
كم هو مفجع ربيع ما بعد الصقيع.. و..

(كل شيء يتطاير كالدخان ..

وذاكرتي لا تجيد ..

غير المشي في الهذيان

رذاذ .. ناعم

يبللُ معطفك الشتوي ..

غير آبه ..

تمرُّ بأرصفتي !!)

قالت العرافة :

في غيبة الوقت، يغلف الضباب وجه الأمكنة، وترحل
المدن بعيداً.. ويهرع العشاق إلى مطارح محفورة
في القلوب، يقتاتون بالذكريات حتى تخمة الفقد..
يصرخون بوجع لا يصل سواهم..
هل أدركها وجعُ الفتى، وهل نظرت في بياض كفها
لتراه وقد تسلل إلى ما تحت الجلد، وعبر من بوابات
خطوط الكف، وامتطى دفق الدم.. صار رجفة
شوق.. صار نسيمات من لهاث.. قلت أدلها إليه:
- افتحي كفك يا بهية.

§ حال الفتى

من الذي يحملني إليك؟!..
حصان الفرح يأخذني إلى ناصية الحلم، يقطع
المسافات في رفة عين، فأراك في ذات اللحظة
تمضغين تمر الفرات، وتشربين ماء النبع عند غرة

عسقلان .. أنتِ هناك وهناك .. وأنا وأنتِ لم نطأ
الأرض هناك .. أو هناك ..

لكنه حصاني يسهل جامحاً .. لا يتوقف عن المسير .
تحمل الريح صدًى وشوشةً بعيدة .. أرهف السمع ..
(ثمة من .. يمتهن انتظار العابرين

هو .. أنا

يتملكني .. يقين

أنك ستمرّ بي ..

ولو ..

(بعد حين ..)

فجأة ينبت على رأسي بعضُ ريش .. يسهل حصاني :

- ما الذي تعتمره يا فتى ؟

- كيف لي أن أعرف يا حصان الوهم ؟

سهل الحصان .. وتوقف عن العدو .. وهبطتُ عن

ظهره .. كان الحصان يلهث كمن دخل السباق .. قال :

- رفة الحلم انتهت .

وصحوت .. كانت العرافة تسأل الودع عن حالي ..

قالت :

- تلك ريشة الفينيق .. تلك إشارة وبشارة .. يا أمير .

§ عبق الياسمين

قالت العرافة: افتحي كفك يا بهية..
صار كفي في بياض الصبح.. صار حقلًا من سنابل..
ورأيتك ترفل بالوجوم، ورأيتك تحبس الدمع آهات
أسيرة... أخذت العرافة كفي، وضعتها إلى بؤرة
القلب.. هتفت بي:
- تذوقي بعض نبضك..
ووجدتني أهتف/ أترنم.. أستجير به منه..

(توقّف هنا..)

ارمِ للسائل

قطعة... وجد

تلملمْ شظايا العمر

اغفْ.. على ترانيم البوح

لك في القصائد الخلود

ولي.. الانتظار..

وشهد الموت..

بين السطور).

قالت العرافة :

يا إلهي صارت المرأة غيمة.. دلقت أحمالها غيثًا
لطيفًا..

ومضت.. تحمل في كفها وشم أمير.

§ حال الفتى

وهبطتُ عن ظهر حصان النوم، كان الوقت يتمطى
بانتظار رعونة صباح من زمهرير.. الريح عاتية،
ونصل الوجد يقطع مني اللحم يشويني على نار
الصقيع، أصرخ على ذهول، تبعثرنى العتمة ولا ضوء
يلوح، والغيوم ملبدة بالغياب، ولا مطر.. كدت أصرخ:
- أين المفر؟..

وتحسست رأسي.. يا إلهي، نبت الريش على رأسي،
صار تاجًا..

ضحكت العرافة، قالت على غنج:

- تاج رأسك من ريش الفينيقي، هل نسيت أم تناسيت
الإشارة والبشارة؟!..

فجأة حطت على رأسي يمامة، نزعت من تاج رأسي
ريشة وطارت، شقت الغيم.. لمع برق.. ثم رعد
وانهمر المطر.. رقصت على نافذتي قطرات المطر..
رقصت القطرات.. صارت سربًا من صبايا مثل بدور
الحكايات.. كلهن أنت.. إلا أنت..

وفردت كفي.. وصرخت من وجدي أستجير بك منك:
- أين أنت ؟

فهبطت على كفي قطرة من هيام، ورقصت على
كفي.. صرت غزالة.. صرت يمامة.. صدقيني أني
رأيتك في وجه يمامة.. وسمعتك تهدلين من وجع
على وجعي..

(خيول رحيلك.. لا تكف

عن الصهيل

ومساءات الصمت يداعبها..

رجع ناي.. مواويل

قلقي.. يمتطي صهوة طيف

كالرمح..

يخترق قلب الأصيل

القشعريرة تسري في تلالي

وموج البحر.. يعلو

أفرد جناحي.. أطيّر

فوق هيكل أسرارنا..

أبني عشًا من الوهم

أنتظر كل مطلع فجر احتضاري

فتلوح أنت..

من بعيدٍ تلوح..)

§ عبق الياسمين

أنا وفناجين القهوة، أسألها عنك.. تجيبني تارة،

وتغلق أمامي النوافذ تارة.. تزيد من لوعتي..

واليوم يحملني عصفورٌ شوق يلهث.. يبحث عن

حدود عينيك لتراني.. يحتضر النرجس في حضني..

ماضٍ الأحقكَ ومساءات تشكو الغياب.. تولد القصائد

على رفة الروح تسطر موتي فيك وتسير على كفي
يلسني صقيع الشتاء .. و ..

(غيم رمادي يهرول في السماء

وحبات المطر .. تتراقص

على بركة ماء ..

تقلق نوم الطحالب ..

من قال ..

إن الصمت وديع؟

من قال إن الوحدة بلا مخالب؟

إني لو متُ وجدًا

قد أبحر اليك ..

دون قارب!!)

§ حال الفتى

من يصدق أنني فرخ يمام، حملني الفينيق تحت إبطه
طار بي .. حلق بي فوق الغيم .. صارت الدنيا من
تحتي بحجم قطرة وجد .. وشربت من ماء الغيم
شاهدًا، فحضرت وليفة تشع بالعبق .. كانت تنتظرني ..

هبطت عليّ من غيم بخار الياسمين .. هتفت بي:

- إني انتظرتك .. لا تتعد .. حاصر فؤادك واقترّب ..

- كيف لي أن اقترّب وأنا المرجوم بالمنفى منذ
وعيت على الدنيا؟ ..

ضحك الفينيقي، وقال:

" أنت الآن في مدى الأحلام، تقطع المسافات في رفة
عين .. "

وصحوت ..

كانوا في انتظاري .. خرجوا عليّ من كل الشعاب،
من كل الرزايا، قيدوني وأقاموا المحكمة .. كانت
التهمة حاضرة:

- إنه المرجوم بها منذ الأزل!

- هو أنا، ومع سبق الإصرار إني أعترف.

شق السياف صدري، نفر الدم من قلبي؛ صار غيمة
من بخار الياسمين .. وكنت أنتِ حورية ترقص على
إيقاع نبضي وتغني ...

(لا غربة للروح، وإنْ اغترب الجسد ..
لن ينالوا منك ..

إني على بعد رفة عين منك
فالروح عن مدار الروح لا تغترب
هيا اقترب . (

§ عبق الياسمين

كم يشبهني الشتاء.. كلانا يحترف الغيم والمطر..
لكن مطري هذا الموسم انحسر..
أخافُ أن تضربني الريح.. أن يدركني الخريف، وأنا
لا زلت وحيدة كما الأشجار واقفة أنتظر..
هل تدرك الريح يا أنتَ أي على موعد مع طيف
لطالما تفيء بظلي، إنه ما زال على سفر..
من المسافرين يا ظلي وأين المستقر؟.. متى تدرك أن
الرحيل يمزقني، وأن ما تبقى مني مسافر على الدوام
خلفك؟..

هل تدرك معنى الوقوف في وجه الريح بلا وليف؟..
زادك بعض شظايا من حروف مازالت مطبوعة على

مرايا القلب .. هل تصبح لو سطررتها ربيعاً، ولو على
الورق؟ .. وهل سيحضر طيفك كما كنتَ بكامل الألق؟

(صاحب .. رائع ..

ملئ بالفضى ..

مساعاتك سحر ..

قصار لياليك ..

مداك .. منفى لا يعرف الاختصار ..

يمضي سريعاً ..

ولا يبقى منه غير غفلة حلم ..

أو بقايا طيف)

• • •

ويقال إن العرافة، لم تعد إلى قراءة الكف، ولم تعد
توشوش الودع، واحترفت أخبار الذين يلودون بالحلم
من ظلم البشر، وينتظرون رحلة الفينيقي في مواسم
الجوى..

وقيل إن العرافة أقامت مجلسها بعد نهاية الفصول
الأربعة وعند عتبة دخول الفصل الخامس..

وقيل في كتاب أخبار المكان والزمان، إن الله خلق
الجسوم من طين ووزع أمزجتها على أربع حالات
تتجلى في الفصول الأربعة، وإن الله خلق الروح
وجعل لها فصلاً خامساً لا يدرك كنهه إلا من أدركه
الوجد وعاش عبق الياسمين.

الكنعاني.. والأميرة السومرية

§ ما قبل عتبة الكلام

... وجاء في سفر الرؤيا أنّ امرأة عاشت ألف عام،
وما زالت تدبُّ على وجه الأرض صبية، تدرك الوقت
ولا يدركها الوقت.. تقفُ عند فاصل اللفظة لا
تشيخ.. يسكن الوهجُ عينيها المكحولتين الراقدين
تحت مظلتين من جديلة ليل، تطلان على فضاء
الوجد بسحر غريب.. شاخصة في المدى، ترى في
حلكة الليل أكثرَ مما ترى في بياض النهار.. ترهف
السمع لغناء بعيد يبشرُ بخروج ريح الوجد من
غفوتها عند فاصلة سكنت في برزخ بين الرغبة
والهيام.. تحملُ سربَ صبايا عاريات راقصات يتدفأنَ
على جذوة الذكرى، لا يعرفنَ الشبع، يحترفن الانتظارَ
عند مرافئ الوهم، ينتظرنَ غيمة حبلى ببلورات من
ماء زلال انطبع عليه وجهُ فتى/ وليف.

... وجاء في سفر الرؤيا، أنّ امرأة خرجت من خميلة
الهوى بين الدجلتين تاهت بين المدى والمدى..
ركبت الريح.. عبرت الصحارى حافية، زادها رجفة

قلب، وبضع أرغفة نضجت في تنور الألق.. وقيل أنها
ركبت الأشواقَ إلى البتراء في رأس جرش.. وقيل
أنها شوهدت في الفيحاء دمشق، وغفت على هامة
قاسيون.. فرأت فيما يرى النائم فتى كنعانيًا ورث
عن المسيح قبل القتل أو الصلب سعة من إكليل
الشوك.. وأنها عندما حاذته حدقَ فيها، فتسمرت
وارتجفت.. فصرخ على وجع:

- أنت هي!!

- أنا السومرية يا فتى.. فهل أنت هو!!؟

- أنت مجدلية.. فأنا لي في كل ميعاد سومرية
مجدلية..

وجاء في السفر أنها مشت حافية عشر ليال وعشرة
نهارات متواصلات، لم تنزف عرق التعب حتى عبرت
دروبَ الناصرة.. نامت ليلتين وصحت، يستبدُّ بها
شوقٌ كالعطش، فهبطت سهلَ مرج بن عامر تفتش
في وجوه السبايا الكنعانيات لعلها تعثر عليه مرسومًا
على وجه صبية.

وجاء في الأثر، أن الفتى ركبَ راحلة الوقت.. وأنه
كلما مرَّ بحاضرة أو مدينة تعرّفوا فيها على فتى
يحملُ بين عينيه وشمَ صبية.. وسدوا عليه المنافذ
صارخين:

- مَنْ تبحث عنها مرت قبل يوم من هنا؟

تصمتُ الريحُ عن البوح.. وتخرجُ في كلِّ وقت أميرة
تقفُ عند حد البهاء عفية لا تشيخ.. روحٌ تتناسل
من روح امرأة عاشت ألف عام، وما زالت تدبُّ على
الأرض، تمارسُ اللهات عند رصيف الانتظار بوجود
صبية.

§ فيض السومرية

لا تكلّ عن غفوة الانتظار عند عتبة الرؤيا.. تتلفعُ
بشال من قرنفل.. خصرها مشدودٌ بزئار من نوار
اللوز والدراق والمشمش.. يسكنُ وجنتيها قمران من
كرز نضج على هجير حزين.. تخبئ بين نهديها فوق
سرة القلب ذاك الفتى في مرجل عطر الياسمين..

تشهق الوقت منذ غادرت مسقط رأسها في التباس
الزلزلة.. تترنمُ :

(أراك .. يا أنتَ

والحزن على محياك .. ارتسم !!

ألقي بأثقال العمر.. عندك

وأنتَ يا أنتَ.. مسكونٌ بالشجن..

والندم..

صامتٌ تباغتني في شباك الحلم

قابضٌ على جرحك..

تنزفُ..

لا تفتح جرار العمر)

وأنا في كلّ مرة أغلق بوابة الحلم.. أتمتُ في سري،

وعلى حجري تتساقط دموعي.. تأخذني الحيرة إلى

رصيف الانتظار، أقفُ بين سواد الليل وبياض

النهار، أخبئك عصفورًا بين نهدي، أوشوشك :

-هل يأتي القطار؟

يرفرفُ عصفورُ صدري على شوق، يسأل قلبي

الملتاع :

- وهل يبقى الفتى على جلد الانتظار؟!

• • •

وتتناقل الكنعانياتُ في بلاد ابن مريم أخبار سومرية
تجلسُ عند شرفة الليل تراقبُ القمر، ربما ترى وجه
الذي سرقته الأيامُ منها مرسوماً على وجه القمر..
وتطلق مع الريح زغليل الشوق أسئلة في فضاء
الليل.. يصبح الليلُ مخملاً من سحر.. وتحمل الريحُ
صوتاً يسكنها شجنٌ.

§ مكابدات الفتى

كلُ الفصول غادرتُ موافقتها، وبقيتُ وحدي عند
ناصية الخريف.. لا ریح تعبر بي فصل الشتاء، ولا
ريح تعودُ بي إلى هجير صيفٍ ينضج الحب في
السنبلة... حتى الشتاء مضى: برقاً ورعداً، دون
شرر غيث.. ولا مطر..
نفقت عصفير الشوق في الجفاف..

أين مني يا أنت؟..

أين أنت؟

ربيعك يحملني وردة تتفتح على شفتيك..

إني يسرلني الأفول..

فكيف أعود إليك، ووجهي الموشوم بين نهديك لم

يرضع الشوق من مقلتيك.. وجهي لم يعد وجهي..

أكله الشوك، فالوقت حصارٌ وجفاف..

هل وقفوا في وجه الريح؟ هل سلبوك رسائلتي؟ هل

سرقوا من صدرك نبض قلبي؟ هل أخذوا نصف قلبك

رهينة؟.. وهل ما زلت أسكن حجرتي في صدرك؟

إنهم سلبوك مني..

قتلوني بك ألف مرة، وفي كل مرة أنفذ من ثقب

الحلم وأعود..

كيف الوصول إليك، والطرق مدججة بالحاquدين..

وصوتك الراجع حزناً يأتيني نواحاً يجتاز

المسافات.. يصلني وجعٌ بوحك تحمله الريح:

(أحاورُ عمري الضائع.. فيك

وزنبيقي المسجى بين قدميك..

يتملكني الريب!!
أبحثُ فيكَ عن أقماري
عن طفلكَ النَّائم خلف أسواري،
عن أمان مبطنة بالبياض..
ظننتُ أنَّ الشوقَ فيكَ سيهطلُ كالحمم
فلم أر...!
غيرَ أقذاح صدئة تقارغُ الرمم..
فالأحلامُ يا رفيقي ذبذباتٌ
يشيعها الصبحُ..
ولا نعرفُ كيف تنتهي..
في العدم..)

§ فيض السومرية

غفتُ.. أتى.. فتح البابَ على حذر، أطلَّ على وجهها
بأسى حزن من فقد الوسيلة للوصول..
وصحت.. لا أحدَ معها غير ذيول الحلم، والجفاف
والعطش.. ترنو بعيدًا عن الموجودات من حولها..

لا ترى في البرق ومضَ شرر، ولا في السحابة
مطرًا ..

فجأة تهبط على شرفتها حمامة .. واجمة قالت
الحمامة:

- لماذا لا تأوين إلى عشك يا بيضاء؟
- أنا زاجلة، يطلقني سيدي إمام العاشقين .. هل من
رسالة لمريد من تلاميذ الإمام بين آه الفقد والدمع
ينتظر؟ ..

- هل هو هناك؟
هدلت الحمامة .. رقصت واستلقت على ظهرها ..
فردت جناحيها .. وراحت في الهيام .. قالت:
- حدثني قلبك تجديه.

كتبت الأميرة بريقها على ريش الحمامة تحت الإبط
الأيمن بعض ألم:

(الصمتُ يرشقتني ..

الليلُ يهددني ..

يهمسُ في أذني ..

اتركيه ..

انسيه ..

فأطاره كسحابة صيف ..)

وصار ريقها حامضاً، فكتبتُ تحت الإبط الأيسر بعض
توجس:

(قال لي طيف ..

يا امرأة قصرِك مهجور ..

وأنتِ حائرة تعلمين .. ولا تعلمين !!

تهيمين كفراشة أضاعتْ شعاع نور

تمضين في الحلم ..

وسؤالٌ في بالك .. يدورُ)

§ مكابدات الفتى

طارت الحمامة عند صياح الديك .. امتطتْ خيوط
الشمس .. قطعت صحارى وسهولاً وبحاراً .. شهدت
من المواعيد موت وميلاد القمر .. وهبطت في حضن
فتى نام على صدر إمام العاشقين .. فردت جناحيها

على صدره، صار الصدرُ بستانَ رياحينَ عبقتُ في
المكان.. نهض الإمامُ يترنحُ ويعني:
" يا إلهَ العشقِ أعني..

على حالِ الفتى المعنى.. أعني.."
هام الفتى ، ذرف الدمعَ خضب ريش الحمامة
وشهق:

لستُ أنا كما تظنين يا قنديلَ عمري
أنتِ مَنْ قالتْ وما زالتْ تقول:

(بأنك ستأتي مع الغيم

مع حبات المطر

تنقر شبّاكِي بحذر

وتحملني على أرجوحة من نغم..)

لو تعلمين..

أني بحثتُ عنك في كلّ النساء، ووجدتُ فيكِ كلهن ما
عداك.. ووجدتُ رجالاً يحاصرونكِ كنجمة..

هل أخذوكِ مني؟

هل سلبوا وجهكِ.. هل قتلوا وردة مزروعة على
شفَتَيْكِ؟...

إنهم ينصبون شراكهم عند نواصي طرقاتي...
فاحذري ذئابَ الليل، وانتظريني عند شرفة الحلم..
أتيك مسرلاً بنجمات تسهرُ مع القمر.. وأنثرُ في
سمائك كلَّ النساءِ العاشقاتِ نجومًا يرقصن من
حولك.. وأنتِ البهية تستحمين بماء الفجر مع
تسايح النهار..

فإذا سدوا عليك المنافذ، امتطي صهوة الوقت في
روح فراشة، واصعدي مع جلال الوجد إلى بيت في
الاثير.. قد أخبرني سيدي الإمام أنَّ روحَ العاشق
عند التسامي تصبحُ شيئاً من أثير.

§ فيض السومرية

هل علقت بوهم، على أمل أن نُحيي ما ضاع منّا بلا
عتاب أو جدال.. فأنا لستُ قادرة عل التجرد منك..
إني أعيشُ الحيرة بين الوهم والحلم والأمل.. فهل
تعودُ يا أميري، أم تراك ستتركني مع الأرق والورق؟

(عقلي يمتطي أصابعي
أكتبُ في صحراء روعي
أفرشُ الورق ..
أمزقُ الورق ..
أنثرُ الحبرَ على الطاولة
وأنت غائبٌ تفتersh المساحات ..
تزرعها بالأرق !!
أمقتُ هوسَ لغتي فيك ..
أمقتُ شخايبط ذاكرتي
المرسومة بخط يديك
يقتلني يا سيدي الخوفُ والقلق ..)

ماذا لو عقدت هدنة مع ذاكرتي وامتهنت التسكع في
أروقة ذاكرتك .. أكتبُ قصائدي بالورد .. أرميها عند
شرفاتك .. وأطلق فيها العنانَ لخيول جموحِي !
ولكني يا أميري أخافُ عليك طول الغياب، والوقت
حصار في الحصار .. أخافُ المضي في انتظار يشبه
الاحتضار .. أخافُ أنْ أصيرَ قطرة ندى تتشبث بغصن
قبل أنْ يدركها الجفاف !!

وأنت يا أميرُ تدعوني إلى بيت لنا هناك في الأثير..
تعلقني نجمة في السماء.. أنثر البهاء والضياء.. هو
قدري أن أطير إليك.. و..
(ترافقتي شهقاتُ كلماتي..
وآخر بكاء لانكساراتي..
يرتعثُ من البرد..
لا تعاتب الورد..
لا تجرح الياسمين..
لا تلعن القصائد
عك تلوح..
لو شئتَ في أحلامي
أو تسبقني إلى بيت الأثير)

§ مكابدات الفتى والأميرة

وفي فصل الرؤيا عند فاصلة الاتحاد والحلول، عن
مكابدات الفتى الكنعاني والأميرة السومرية، كتب إمام
العاشقين:

وللأجسام الغياب والفناء، وللأرواح الخلود والبقاء،
وأنه عندما اشتد عليهما الحصار، وطاردتكما أسرابُ
غربان مسلحة بمناكير حديد منقوعة بسم الغيرة
والحقْد.. التقيا على وهج الرؤيا، وسكنا براعم
الورد، وانتشرا مع الشذا صعدا إلى الأثير.. وأنّ
الفتى انتظر في شرفة بيت الأثير، فأطلت عليه في
وجه نجمة.. فاض به الوجد وترنم:

" هكذا أنت!! "

كلما جئت.. ابتعدت.. ونأيت..!! فأظلُّ على حالي
يضرّبي السؤال..

لماذا تسكنين لحظة ما بين الغياب والحضور..
تهبطين على رصيف صدري.. يرعش قلبي بالانتظار
يلهج لساني بريح آتية من غمام..

هل أتيت؟

أم أنها الرغبة، تحملني على غيمة الشوق..
لا هبوط يا سيدتي على الأرض.. فالأرض مغبشة
بأطياف الفراق..

وأنت كلما جئت.. ابتعدت..

وقفّت النجمة على الشرفة معاتبّة.. صارت النجمة
امرأة أميرة تذرفُ الدمعَ تشكو حالها وسط الحصار:

(أريدُ أنْ أحتويك بكلي
أريدُ أنْ أضمَّكَ إلى حضني..
قل لي إنك عدت..

أزح هذا الخوف عني
صامت يا أنت يشدك الرحيل!!
ويا ليتك لي.. شيئاً تقول!)

وظلّ الفتى يحدقُ فيها يرجه العذابُ، حتى بزوغ
الفجر وميلاد شمس النهار..

" من يصدق أني رأيتك امرأة بطعم القرنفل.. كيف
يصبح لحضورك مذاقُ القرنفل.. كيف يرقصُ صوتك
أمامي مثل نرجسة بيضاء..

وهل للصوت لونٌ وللحضور مذاق..
وهل ما أرى وجه امرأة انطبع على وجه نجمة
فأضاء صحراء قلبي..

هل هي أنت الغزالة التي تتقافز في فيافي الذاكرة أم
أنت امرأة الحلم تحضرين عند حضور الروح؟.."

وكتب إمامُ العاشقين عن عذاب الفتى بين الممكن
والمتاح، بين بدائل الشوق والشهوة:

.. وعصفت الحيرة بالفتى!! لو هبط إلى الأرض
ستأخذه الطيورُ الجوارح فريسةً حقد وغلّ، ولن
تتوقفَ عن نهش كبده، وعن تبديد وجهه والبحث
فيه عن لؤلؤة تشعُّ كلما زحفت العتمة في فضاء
الحلم.. يقتلون فيه مساحاتِ الرؤيا.. يطفئون في
صدره وهج البصيرة!.. كيف يهربُ من حصار
الأرض إليها؟.. ضحكت الريحُ.. قالت الريح:

- أرهف السمع يا فتى..

حملت الريحُ وشوشةً حالمة.. كانت هي حاضرة..
هل هي الريحُ ما يسمع، أم روح امتطت متونَ الريح
اجتازت الحصار إليه؟

(تتراجعُ اللحظاتُ..)

تجتمع حول همس صوتك..

تلتفُّ الأماني حبالاً من الياسمين

حول كفيك

والأحلامُ تتجسد..

تلائم وبريق عينيك (

§ عند عتبة الحكاية

وفي رواية المرأة التي عاشت ألف عام ، وما زالت
تدبُّ على الأرض صبية، أنّ الفتى كلما هبط على
أرض جديدة يجد من يسدون المنافذ، فيلوذ بشنايا
الذاكرة.. يذهب إلى الحلم.. ويعتذر:

" ليس لي غيرُ مساحات الحلم فيها أنتظر، هل
تكونين هناك أم تراكِ تفرين من الحلم إلى الحلم قبل
وصولي؟.. أنتِ المستحيلة، تزرعين الزنايقَ خارجَ
الوقت.. كلُّ الزنايق يأخذها الذبولُ إلا أنتِ..

من أيّ ماءٍ تشربين؟!

هل تدليني إلى نبع الماء الذي منه تنهلين.. هل
تتركين منك علامة؟..

أنتِ وشم انطبع على عين قلبي.. وقلبي لا يرى من
النساء سواك..

هل عرفتِ أين أنتِ؟!

• • •

واختلفت الرواياتُ حول الفتى، وحول الأميرة، بعد
اختفاء إمام العاشقين، حتى صحت المدينة يوماً على
غيمة طين سكنت السماء، وحجبت ضوءَ الشمس..
فانتشرت العتمة في الطرقات.. واتشحت نساءُ
المدينة بالسواد، ودخلن الحدادَ على الفرع، حتى
ظهور الشاب الوسيم الذي قُتل بتهمة عشق امرأة
تسكنُ الحلم.. وتحاولُ الصعودَ إلى بيت في الأثير.





د . هناء القاضي

- § طبيبة عراقية تعمل في الأردن/عمان.
- § حاصلة على الماجستير في فسيولوجيا الأعصاب.
- § تكتب الشعر والخاطرة الأدبية.
- § عملت مذيعة في البرامج الصحية في الإذاعة العراقية.
- § أذيعت كتاباتها في البرامج الأدبية في الإذاعة العراقية.
- § ترجمت بعض أشعارها إلى الإنجليزية.
- § تنشر أعمالها في الصحف العربية والمواقع الإلكترونية.
- § الإصدارات :

- سيدي البعيد : نصوص.

شمس للنشر والإعلام، القاهرة، ٢٠٠٩

- الأميرة والنورس : نصوص مشتركة، مع الكاتب

والروائي غريب عسقلاني

شمس للنشر والإعلام، القاهرة، ٢٠٠٩

§ البريد الإلكتروني: hanaalkadhi@yahoo.com



غريب عسقلاني

- قاص وروائي فلسطيني من مواليد المجدل/ عسقلان عام ١٩٤٧
- حاصل على بكالوريوس الاقتصاد الزراعي من جامعة الإسكندرية ١٩٦٩
- شغل منصب مدير الإبداع الأدبي في وزارة الثقافة الفلسطينية حتى ٢٠٠٧
- يكتب الرواية والقصة القصيرة والمقالة الأدبية.
- نشر حتى الآن ١٠ روايات ، ٦ مجموعات قصصية.
- نشر أعماله في الدوريات والصحف الفلسطينية والعربية
- ترجمت بعض أعماله إلى الإنجليزية والفرنسية والروسية والألمانية.
- حائز على جائزة القصة القصيرة من جامعة بيت لحم، عام ١٩٧٧
- وجائزة القصة القصيرة من اتحاد كتاب فلسطين، عام ١٩٩١
- البريد الإلكتروني : asklani47@hotmail.com



شمس للنشر والإعلام

رؤية جديدة في عالم النشر

في مسعى جاد لتقديم رؤية جديدة تسهم في تصحيح العديد من المسارات في مجال النشر، تم تأسيس "مؤسسة شمس للنشر والإعلام" كخطوة على طريق إرساء أسس مشروع ثقافي متكامل يهدف إلى نشر الإبداع العربي في كافة التخصصات، وإثراء صناعة النشر، وتقديم إضافة حقيقية إلى مسيرة الكتاب العربي، وفق رؤى متوازنة تجمع ما بين طبيعة عملها كمؤسسة تجارية، وما بين تحقيق رسالتها الثقافية.

ويرتكز عمل المؤسسة على منهج "احترام الكاتب والكتاب" مادياً وأدبياً ومعنوياً، وفق عدة معايير تقوم على الالتزام التام بأخلاقيات مهنة النشر. وتسعى لتقديم رؤية جديدة لصناعة الكتاب تشمل الدقة في انتقاء المحتوى، والجودة في إخراجه وتصميمه وتنفيذه وطباعته، والاهتمام بنشره وترويجه إعلامياً ودعائياً، بما يضمن له مكاناً بارزاً في مكتبة القارئ.

شمس للنشر والإعلام

www.shams-group.net

(+2) 02 27270004/5 - (+2) 0188890065

n

٥	§ استدراك
٧	§ رسائل في زمن الغربة
٢٧	§ الأميرة . . وهو اجس النورس
٤٧	§ حكاية الليلة الثانية بعد الألف
٦٧	§ مقهى الذاكرة
٩٣	§ عند فاصلة الوهم
١١٥	§ عقب الياسمين
١٣٥	§ الكنعاني . . والأميرة السومرية
١٥٦	§ المؤلفان في سطور
١٥٨	§ شمس للنشر والإعلام
١٥٩	§ فهرس



(+٢) ٠١٨٨٨٠٠٦٥ (+٢) ٠٢٢٧٢٧٠٠٠٤
www.shams-group.net